14 me Année No. 692

Lundi—7—10—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٩٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ — ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

بين جيلَـــين . . . !

للأســـتاذ محمود محمد شاكر

انتفض شعر المتنبي فرمى إلىّ بهذين البيتين ، وهما على بساطة لفظهما كالجبلين الشامخين فى تاريخ الحياة الإنسانية :

سُبِقنا إلى الدُّنيا فلو عاش أهلها ... مُنِعنا بها من جَيْئة وذُهوبِ
تَملَّكها الآتى تَمَلُّك سالبٍ ... وفارقها الماضِى فِراق سَليبِ

أفليس لمَلَك الموت من عَملٍ إلا إخْلاء الطريق للقادم ، حتى يتاح له أن يغدوَ ويروح فى الأرض التى ورثها عن السابق الفانى الذى مهَّد له بمواطئه سبيل الحياة ! ! ولعلّ ملك الموت يحارُ أحياناً حيْرةً تديرُ رأسه فى الأمر الذى حمل أوزاره ، وكُلِّف بقضائه ، ولعله يرى أحياناً أنه يُزِيلُ خيراً كثيراً ليخلُفه شرٌّ كثير ، فهو يتردّد تردُّد المتحسّر على ذاهبٍ هو أولى بالبقاء من قادم ، ولكنه يقضى قضاءه الذى لا يجد عنه مندوحة ولا مهرباً ؛ وهو ككل صاحب صناعة قد أَلِفها ودرِب عليها ولا يجيدُ سواها ؛ فهو يعيش بها على الرضى وعلى السخط ، وعلى الفقر والغنى ، وعلى الفتور والنشاط ؛ وهو كسائر الخلق ميسَّرٌ لما خُلق له ، ولو تُرك له أن يختار لاختار قديماً كثيراً على جديد كثير ، ولآثر ناساً على ناس وحياةً على حياةٍ . ولقد أرثى أحياناً لهذا المخلوق البائس الذى يسَّره الله لصناعة الإفناء والإهلاك ، فإنه ولا ريب يرى ما لا نرى ويحس ما لا نحس ، ولربما كُلِّف أن يقبض الروح من زهرة ناضرة لم تكد تستقبل الحياة . فهو يذوب لها رقة وحناناً لما سوف تتجرّعه من غُصصه ومنكراته وحشرجته ومكارهه ، فكيف يقسو على من هو بالرحمة أولى ، وبالبقاء أخلق من أُخرى لم يُبق فيها العمر المتقادم إلا الأعوادَ والأشواكَ والجذور التى ضربَتْ فيها الآفاتُ ، وبَرِم بها البِلَى من طول مُراغمتها له على العيش !

وكيف يفعل هذا البائس حين يعلمُ أنه قد دنا أجلُ عقلٍ عبقرىّ لم يتمّ عمله لخير هذه الحياةِ الإنسانية ، فهو مأمور أن يطفىء نوره ليخلُفَه عقل دَجُوجىّ لا يأتى إلا بالسواد والإظلام ؟ أُترى أنامله ترتجف من الإشفاق والضنّ والبُقيا على هذا السراج الذى أُمر أن يقطع عنه أسباب الحياة ؟ أم تُراه يفعل ذلك وهو مسلوب العقل والإرادة والإحساس كأنه قائد من رجال الحرب الحديثة ، لا عقل له إلا الحرب ، ولا إرادة له إلا الحرب ، ولا إحساس له إلا الحرب ، فهو كله حرب على الجنس البشرى بشيبه وولدانه ورجاله ونسائه ، لا يرحم صغيراً ، ولا يوقّر كبيراً ، ولا يشفق على أمٍّ ولا ذات جنين ! أم تَراه يعلمُ ما لا نعلمُ من خَبْءِ هذه الحياة الدنيا ، وأن جليلها الذى نجلّه ونوقره ، هو

أولى الشيئين بالمهانة والتحقير ، وأن الحقير الذى نزدريه كان أولاهما بالتجلة والتوقير ؟ فهو إذن يؤدى عمله راضياً عن نفسه وعما يعمل ، لا تزعجه الرحمة لما لا يستحق رحمة ، ولا يمسك يده الإشفاق عما لا يستأهل إلا الإرهاق والتعذيب . وكأننا نحن إنما نحبُّ ونبغض ونرضى ونكره على قدر إدراكنا وما بلغ ، لا على منطق الحياة المتطاولة الآماد والآباد ، فنرى الأشياء متصلة بمصالحنا ومنافعنا ، ومحصورة فى حاجات أنفسنا وآمال قلوبنا ، لا متماسكة ممتدةً فى كهوف الأمس السحيق ، وسراديب الغد العميق .

فلو أن هذا الملَك كان ميسَّراً لإدراك الحياة ومعانيها بمثل العقل الذى ندركها نحن به ، وكان كشلنا فى تقدير الأقدار على قياس الحاجات والآمال الراهنة محجوباً عن الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ، لرأيناه يحرص أحياناً على أن يُبْقِى على بعضنا ويعجل أحياناً فى القضاء على بعضٍ آخر نظنُّ ، ويظنُّ معنا ، أنه لا معنى لبقائه فى هذه الدنيا ليكون زِحاماً من الزِّحامِ لا عمل له إلا أن يَعُوق المتقدم ، ويعثُر به الماشى ، ويتفلَّل من جرائه حدُّ الماضى المتعجل ، ولكان الناس يومئذ يأتون إلى الدنيا ليجدوها ممهَّدة من نواحيها لا يلقى لاحقٌ عَنَتاً من وجودِ سابق ؛ ولا يصادف إلا طريقاً خالياً لا يضطره إلى جهاد ولا حيلة ولا حذر ، ولا يحمله على النظر والتأمل والهمة فى إصلاح الفاسد والفكر فى أسباب الفساد ، وبذلك يتعطل العقل وتقف الإرادة ويستنيم المرء إلى الراحة حين يرضى عن عمل من سبقه من الذين أبقى الموت عليهم لأنهم أهلٌ للحياة . وكذلك تنقطع مادة الحياة ، ويتفانى الخلق بالرضى والقناعة كما يتفانون اليوم بالسُّخط والطمع . بيد أن موت الرضى والقناعة شرٌّ كله لأنه عقيم لا ينتج ، أما موت التسخُّط والطمع فهو إلى الخير أقرب ، لأنه يبقى البقية الصالحة التى تستمرُّ بها الحياة متجددة على وجه الدهر .

ومن أجل ذلك قُدِّر للآتى القادم على الدنيا أن يأتى منذ يولد وفى إهابه حبّ التملك والتسلط والأثرة والعناد واللجاج فى صغير الأمر وكبيره ، وكذلك الطفل . وقُدِّر للذاهب الراحل عن هذه الدنيا أن يدلف إلى الغاية ، وقد نفضَ عن نفسه أحبَّ أشيائها إليه فهو يؤثر الزُّهد والإيثارَ وسمة العقل وقلة المبالاة فى كبير الأمر وصغيره ، وكذلك الشيخ . فإذا الآتى متمسِّك سالب ، وإذا الماضى مفارق سليب .

فهذا هو تاريخ الصراع بين أجيال الناس كلهم ، والأمم جميعها ، والآراء بأسرها ، والمذاهب برُمَّتها ؛ إلى آخر هذا الحشد الحاشد مما يقع عليه الخلاف فى هذه الحياة الدنيا ، وليس يكون فيها شىء إلا كان مظِنَّة للخلاف . وهذا الصراع المُفْنى هو نفسه سرّ القوة المُحْيِية ، وهذا الجهاد المتواصل فى طلب الغلبة والظهور ، والنصر بين السالب والمسلوب ، هو الحياة . وهذا العناء الشديد الذى يلقاه الشباب حين يحتدم الصدام بينهم وبين أهل السنّ من قدماء الأحياء هو تكملة الإنسان الجديد الذى يريد أن يتملك مواطىء أقدام الإنسان القديم الذى كتب عليه أن يرحل ويُفسح الطريق لمن هو أولى منه بالعيش وعليه أقدر . وقديماً قال القائل :

لكلّ جديد لذَّة غيرَ أننى   وجدت جديدَ الموت غير لذيذ

فيأتى الآتى إلى جديد الحياة ، فإذا هو بها مشغوف لهيفٌ ، وإذا هو نفسه جديد ، فهو معجبٌ بجديد نفسه ساخرٌ من قديم غيره ؛ وإذا سرُّ كل « آت » هو جِدَّته الموفورة ، وسرُّ الضعف فى كل « ماض » هو جِدَّته البالية . وللجديد نخوة ونشوة وإرباء على القديم ، وفى القديم هيبة وذهول وتقصير عن الجديد ، والصراع بين القديم والجديد هو صراع على الحياة وعلى البقاء وعلى الخلود ، ولذلك لم يخلُ وجه الأرض قط من نِزَال دائمٍ مفزع بشع بين هذين الجبارين : الجبار الآتى الذى يريد أن يستأثر بالحياة ، والجبار الراحل الذى يلتمس لجبروته الخلود . ولا تزال الدنيا دنيا ما اصطرع هذان الجباران ، فإذا سكن ما بينهما فقد انطفأت يومئذ جمرة الحياة ، ولم يبق إلا رمادها .

ونحن اليوم أحوج ما كنا إلى حدّة الصراع بين الجبارين : جبار الشباب وجبار الهرم ، لأن الحياة التى حولنا تريدنا على ذلك ، إذا أغفلنا مطالب الحياة الإنسانية نفسها ، والتى لا بقاء

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

لها إلا على مكاره النزاع والنزال والمصاولة . ولكن يخيل إلىَّ أن جبارنا هذا الشابّ لم يعرف بعدُ أن اتخاذ الأهبة للقتال شيء لاغنى عنه لمن يريد أن تكون له العزة والغلبة ، وأنه ينازل جباراً سبقه إلى الدنيا فعرفها وخبرها واستعدّ لها ، وصرف همه إلى درسها وتمحيصها ، وأنه قد بذل فى إبان شبابه من جُهد التحصيل والاستعداد ، ما غفَل هو عن مثله بين اللهو والعبث والآراء غير المحصة ، وأخْذ الدنيا على أهون وجهيها وأيسرهما ، وعلى أن الصدق فيما قاله أسخف قائل : « اضحك يضحك لك العالم » !!

ليس معنى الصراع بين الجديد والقديم : هو أن ينازل أصغر الخصمين وأقلهما تجربة ، أكبرهما وأوفاهما تجربة ، وهو يضمر له فى نفسه الإزْراء به والتحقير له والاستهانة به وبسابقته فى الحياة ، كلا ، بل هو يحرص أشد الحرص على فهم خصمه ، وعلى معرفة حيله ، وعلى درس قوته ومواطن الضعف فيها ، وعلى أساليب معالجته للأشياء التى حازها بالنصر والغلبة على من سبقه . وذلك يقتضيه أن يجمل صدر أيامه وريِّق شبابه وقفاً على الدرس والتحصيل ورياضة النفس ، وتربية القُوَى ، وتعهُّد نفسه فى مراشدها وتجنيبها مغاويها ، فإذا فعل كان أهلا لمن ينازله ، وكان خليقاً أن يكتب له النصر عليه ، ولكن شاء الله أن يسلك جبارنا الشاب أضلّ الطريقين .

فماذا كانت العقبى ؟ بقينا إلى زمن نري فيه الشيوخ الذين أكلَ الدهر جِدَّتهم ، وأبلى هممهم ، وأفنى حوافزهم ، وقطع دابر الحماسة من نفوسهم ، هم الذين يتولون تصريف الأمر فى غدِنا تصريفَ العاجز ، ويدبرون سياستنا للمستقبل تدبير الذاهل ، ويسيرون بهذا الشرق كله إلى رَدَغةٍ موحلة يرتطم فى أوحالها الشيب والشبان جميعاً . وإلا فأين الشباب المبشر بالخير المهدى إلى طريق الرشاد ، ليكون لشيوخنا إذا عجزوا عُضداً ، وإذا قصَّروا باعاً ، وإذا سقطوا خلفاً ؟

إنى لأفتح عينى حين أفتحها على كثير ، ولكن لا أرى أحداً

ومعاذ الله أن أكون ممن يُخْلى هذه الأمم من رجال شبان يدخل فى أطواقهم أن يغيروا وجه هذا الغد الذى نستقبله ، ومعاذ الله أن يلمّ بى اليأس ويتداخلنى القنوط ، فإنى لأرى فيهم رجالا لو هم صرفوا عاماً أو عامين فى التأهب لصراع الغد ، أى لصراع الحياة ، أى لإنقاذ بلادنا من خوَر الشيخوخة ، وجبن الهرم ، وعجز السنّ ، وضعف الكِبَر الطاحن ، ومن غرور هذه جميعاً بسالف تجربتها واحتناكها ، لأدركنا البغية التى يظن شيوخنا أنها محال ، وأنها طَفْرة ، وأنها جرأة وتقحم ، وارتماء فى مهاوى الهلاك .

أوليس من أكبر العار فى هذا الزمن أن يكون الشرق الذى بلغ بفتيانه قديماً ما بلغ ، هو اليوم مبتلى بفتيانه أشد البلاء ؟ أليس من الخزى أن يعرف أحدنا كيف تعاون شبابنا قديماً وكهولنا وشيوخنا على فتح الدنيا ، فإذا خَلَفهم يتعاونون جميعاً شيوخاً وشباناً وكهولا على ترك بلادهم وأرضهم لقمة سائغة لكل طامع ، ولحماً ممزقاً بين يدى كل جزّار وإن هان ؟

إن علينا نحن الشباب أن نوقر شيوخنا ونجلّهم ونستفيد من تجاربهم ، وعلينا أن ننازلهم ونصارعهم ، ونأخذ من أيديهم المرتعشة ما يستقرُّ فى راحاتنا الثابتة التى لا تخافُ ولا تهيب . علينا أن نأخذ حقنا أخْذ الكريم المقتدر ، من أقران نصارعهم ليموتوا موت الكريم البذّال . وعلى هذا الصراع بين جيلينا يتوقف أمر الخير الذى نبتغيه ، والاستقلال الذى نجاهد فى سبيله ، والعزة التى نسمى إلى اقتحام أهوالها .

وعلى شيوخنا أن يعلموا أنه لابد لهم من شباب شديد الأسر يشد أزرهم إذا ضعفوا ، ويخلفهم إذا هلكوا ولكنهم غفلوا زماناً فتركوا النشء ينشأ بين أحضانهم ، فلم يسدّدوه ولم يعاونوه ولم يعدُّوه لغدهم ، وقلبوا آية الحياة وبدّلوا معناها ، فكانوا هم الصبيان حين تخلقوا بأخلاق الصبيان ، وأصرُّوا على حبّ التملك والتسلط والأثرة والعناد واللجاج فى كبير الأمر وصغيره !

هذه الأيام تمضى بنا سِراعاً ، فلنقدّر لغدٍ ، فإن مستقبل الشرق معقود بنواصى شبابه ، فإذا نفضَ عن نفسه غبار الكسل والمجانة واللهو ، كان إلى النصر أسرع ساعٍ ، وعلى الدنيا الجديدة أكرم وافد .

محمود محمد شاكر

مقالات في كلمات

للاستاذ على الطنطاوى

المذهب الرمزى كما أفهمه :

يقف الشاعر على الطريق فتمرّ به مائة امرأة ، ما فيهن إلا جميلة فتانة تستهوى القلب وتستميل الفؤاد ، وما واحدة منهن تشبه فى جمالها الأخرى ، فلكل (جمال) طعم فى الذوق ، وأثر فى النفس ، ومعنى فى الحسّ . ويسمع مائة صوت ما فيها إلا مطرب يهز ويثير ، ولكنّ للبيات (طرباً) ليس للرصد ، وفى الصبا ما ليس فى النهاوند . ويشمّ عشر زهرات فلا يجد فيهن إلا طيباً وعطراً ، ولكن أثر الياسمين فى النفس غير أثر الورد ، وفى الزنبق ما ليس فى البنفسج ؛ وربما رأى المرأة أو سمع النغمة فى حال ، فأثارت فى نفسه عواطف لا تثيرها فى حال أخرى ، فإذا جاء يصور بالألفاظ هذا العالم الزاخر من (الشاعر) والخواطر لم يجد لهذه الآلاف المؤلفة ، من (المشاعر) المختلفة ، والخواطر المتباينة ، إلا ألفاظاً قليلة لا تقوم لهذه الكثرة ، ضيقة لا تتسع لشىء من هذه التفاصيل ، ميتة لا تستطيع أن تجارى هذه القافلة الحية المتوثبة من الخواطر والأحلام الإنسانية ...

ويقرأ القصة من القصص ، أو الأبيات من الشعر ، فتنقله إلى دنيا أخرى يرى فيها ما لا تراه عيون أكثر الناس ، ويدرك من جمالها وسحرها ما لا تدركه قلوبهم ، فإذا عمد إلى حصر هذه الدنيا فى نطاق من الألفاظ تفلتت منه ومضت ، كما يمضى عبق الزهر إذ ينبثّ فى الجوّ ، وهبط من بعدها إلى أرض الحقيقة السلدة ، كما هبط آدم من جنته إلى الأرض ...

ويسمع الأغنية الحالمة تخرج من قلب عاشق مشوق ، فتطفو على وجه النسيم العليل ، فى الليل الساجى ، ينادى بها الليل ، والليل معرض لا يجيب ، فتهز الأغنية إذ يسمعها (شاعريته) فتسقط أنضج ثمارها وأحلاها ؛ فإذا راح يجمعها ليودعها ظروف الألفاظ ، طارت من بين أصابعه كأنها حباب الخمر ، أو خيوط النور ...

ويحلم نائماً أو مستيقظاً فيجد لهذه الرؤى والأحلام متعة وجمالا يملأ جوانب نفسه ، ويصل إلى قرارة قلبه ، ويصحو منها ولذتها فى حسّه ، وأثرها فى نفسه ، وبقاياها فى ذاكرته ، فاذا أراد أن يضع وصفها على لسانه ، خانته الألفاظ ساعة الشدة ، وفرّت منه ولم تسعفه ... .

فماذا يصنع الشاعر ؟

أيقنع من الشعر بوصف الحالات النفسية الواضحة الدانية ، ويدع كل سام منها رفيع ، أو غامض معقد ؟ وتصوير مشاهد الطبيعة الجامدة دون أن يفيض عليها أفكاره وأحلامه وذكرياته ؟ إنه إن فعل كان كمن يأخذ الأصداف والديدان من شاطىء البحر مجتزئاً بها عن كل ما فى البحر من لآلىء وأسماك ، فماذا يصنع ؟

فكر فى ذلك ناس من شعراء أوربة فرأوا أن الخصلة من شعر الحبيب ، تذكر المحب بأيام الغرام ، وتتلو عليه وهى خرساء لا تنطق تفاصيل أحداثها حتى كأنه قد رجع إليها ؛ والنشيد الحربى يقص على الجندى الهرم أنباء معاركه التى خاضها ؛ وصورة برج إيفل يعيد للباريسى النازح ذكريات بلده الذى فارقه ؛ وما خصلة من الشعر وما النشيد وما الصورة ؟ إنها رموز (Symboles) تستدعى فى الذهن صوراً وحقائق على طريق (تداعى الأفكار) كما تذكر صورة الكعبة بالحج ، و (جون بول) بانكلترا ، والاهرام بمصر ... فلماذا لا نرمز لكل حالة نفسية غامضة برمز يذكر القارىء بحالة مثلها كان وجدها ، اعتماداً على (تداعى الأفكار) وعلى أن نفوس البشر متشابهات فى الجملة فى حالاتها الكبرى ؟

وقد حاولوا أن يفعلوا ذلك فنشأ ما ندعوه بالمذهب الرمزى (Symbolisme) ، فليس الشعر عند الرمزيين أن تصف الحبيب بل ما يثير فى نفسك الحبيب من عواطف ، ولا أن تصور مشهد الطبيعة بل ما يبعث المشهد فيك من خواطر . وإذا كانت هذه العواطف والخواطر غامضة ، فليكن الشعر غامضاً مثلها ، على أن يثير فى السامع أمثالها ، ويحضر له نظائرها . وأول شرط للشعر عندهم هو أن يكون وقعه فى الأذن جميلا بارعاً ، وأن يكون لألفاظه رنين اللحن الموسيقى . والشرط الثانى هو أن يعلو بسامعه ، ويحمله إلى أسمى الحالات النفسية . قال عميد الرمزيين

بول ڤرلين (Verlaine) : « الشعر ما انبعث من قرارة النفس ، ورفّع إلى ذروة السماء ، وكان موسيقياً قبل كل شيء » .

وهذى غاية ما نظر إلى أبعد منها أديب ، ولكن هل بلغ الأدباء الرمزيون هذه الغاية ؟

الجواب : لا ، وإن نهاية ما وصلوا إليه أن جاءوا بشعر فى ألفاظه موسيقية وجمال ، يلوح من ورائها معنى فيه من (تلك) الحالات النفسية غموضها ، ولكن ليس فيه سموّها ولا عظمتها ، ولا يدنى منها ولا يوصل القارئ إليها .

هذا ما عندهم ؛ فما الذى عندنا ؟

الذى رأيناه عندنا إلى الآن : أفكار مهوّشة مضطربة فى رؤوس أحب أصحابها التعبير عن أفكارهم بالشعر ، ولم يؤتوا ملكته ، ولا أعدّوا له عدته ، ولم يعطهم الله (شعور) الشاعر ، ولطف حسّه ، وصفاء نفسه ، فاستعاضوا عن ذلك كله بالانتماء إلى المذهب الرمزى ... ولا يكلف ذلك من يريده إلا أن يكتب فى رأس قصيدته ... أو مصيبته التى يحب أن ينزلها بالقراء ، كلمة (من الشعر الرمزى) وأن يلقى صحفياً أحمق ينشرها له ...

وكل الذى قرأناه إلى الآن من هذا الشعر ... الرمزى ، قطع هى أبعد عن الموسيقى من بُعد الأرض عن السحاب ، وبُعد أصحابها عن الشعر ، وهى تنزل بقارئها إلى أحطّ دركات الاشمئزاز و (القرف ...) بدلا من أن ترفعه إلى السماء التى ينظر إليها (ڤيرلين) عميد الرمزيين الأصليين لا القردة المقلّدين ...

لا . لا هذه ولا تلك ، فالرمزية الحقيقية حلم جميل ولكنه منافٍ لطبائع الأشياء فلا يتحقق أبداً ، ورمزية أصحابنا ... (تهريج) ثقيل ، وتقليد بشع ، وعدوان على الفن ، فلا تدخل حرم الشعر أبداً ...

إنها رطانة بحروف عربية ، و (شعر ...) ولكن لا شعور فيه ولا موسيقى ولا حياة .

عودة إلى « حرية الكتابة » :

دفع إلىّ أمس صديقى الأستاذ مظهر العظمة عدداً من مجلة الثقافة فقال :

— انظر ما فى هذا العدد .

فنظرت فإذا أنا ألقى أسماء جديدة لم أسمع بها قط قبل اليوم ، فلا أحمد أمين ، ولا فريد أبو حديد ، ولا أحمد زكى ؛ ولكن صدقى إسماعيل (؟) ، وخالد حمد (؟) ، وعمر كركوتلى (؟) فأنعمت النظر فإذا هى (ثقافة) أخرى ، غير (الثقافة) المصرية المعروفة ، تصدر فى (دير الزور) من أعمال الشام ، وإذا أصحابها قد سرقوا اسم مجلة الثقافة وحجمها وشكل غلافها وترتيبها حتى ليظن القارئ أنها هى ، مع أنها منها كخريطة مصر بالنسبة إلى مصر ...

فرددتها إليه ، وقلت له :

ألم تسمع أن المكتوب يقرأ من عنوانه ، فدعنى بالله منها لا أريد أن تغثى نفسى .

قال : لا والله ، إلا أن تقرأ هذا .

وأشار إلى فقرة قرأت فيها ما نصه بحروفه :

« أيها السادة ! الممعن فى الأدب العربى من إنتاج العصور وجماع الفنون يلمح خطاً واحداً تنتظم فيه كل الألوان والأغراض هو خط السكون ، والممعن فى الأدب الفرنسى يلمح خطاً واحداً يناقض ما تقدمه هو خط الحركة » .

قلت له :

لقد قرأت ، فقل لى ماذا تريد من رجل جاهل بالأدب العربى وبالأدب الفرنسى(1) ، ويريد مع ذلك أن يتعالم وأن يتشبه بالباحثين ؟ أيمكن أن يفتح عليه إلا بهذا الهذر الذى لا معنى له أبداً إلا (الدعاية) المضحكة لفرنسة التى قطع رأسها فى بلادنا ، وبقيت أذنابها تتحرك كما يتحرك ذنب (سام أبرص) بعد دعسه بالحذاء ؟ ... وهذه ثمرة (حرية الكتابة) ، فمادام كل دعىّ فى الأدب أحمق يستطيع أن يكتب ما توحيه إليه حماقته ، ومادام كل رجل معه ثمن الورق وأجرة المطبعة يستطيع أن ينشئ صحيفة أو مجلة تنشر كتابات الأدعياء والحمقى ، فارتقب العجب العجاب ، من هذا (الأدب ...) الجديد ، وهذه (المجلات ...) المحدثة التى لا آسف على شىء إلا على أنها لم تلحق الأديب الكبير أبا العبر الذى كان يقف على جسر بغداد فيكتب

(1) كان أجدادنا يسمون فرنسا فرنجة وفرنسة بفتح الفاء والراء وبتاء مربوطة

ARCHIVE http://Archivebeta.sakhrit.com

كل ما يسمع من كلام المجتازين فى صحيفة معه ، ثم يشققها ويخالف بين أجزائها ويقرأ ما تحصل معه ، فيأتى بالأعاجيب ، إذن لكانت تنشر له ، وتقدمه وتفضله على سائر الكتاب ، لأن مقياس الجودة عند أصحاب هذه المجلات الجدّة والمخالفة ، وآثار ابن العبر هذا جديدة لم يسبق إليها ، مخالفة لكلام العقلاء جميعاً .

قال : أرجو أن تتم المحاضرة .

قلت : أعوذ بالله ، ماذا عملت معك حتى تعاقبنى بقراءتها ؟

قال : لا بد .

وأخذ يتلو علىّ تتمة هذا الهذر :

« السكون والحركة هذا هو كل ما استطعت الحصول عليه من وراء دراستى للأدب العربى والأدب الفرنسى » .

قلت : يظهر أن هذا الرجل قد أطال الدراسة للأدبين ، وسهر فيها الليالى ما دام (كل) ما استطاع الحصول عليه (من وراء ...) هذه الدراسة ، هو السكون والحركة ، وما السكون والحركة ؟ العلم عند الله ، فهذا شىء يدق عن أفهام أمثالنا من عباد الله المساكين ، ويعلو عن مداركهم ...

وجعل يقرأ أشياء من هذا الباب ، وأنا لا أكاد أفهم منها إلا مفردات الألفاظ ، أما الجمل وما يراد من إيرادها ، فكان يخفى عنى ، حتى وصل إلى قوله :

« ... وفى أزهار شر (بودلير) و (لا أخلاقية) أندره جيد ، وإباحية فيكتور مرغريت الأدب الحر والفن الثائر » .

فقلت له : وصلنا . هذا هو القصد ! إنه ينقم من الأدب العربى خلوّه من هذه (اللا أخلاقية) وهذه (الاباحية) مع أنه لم يخل منها ، ولكن هذا الجاهل لم يسمع كما يبدو باسم بشار وأبى نواس ، وأبو نواس هو أمام أندره جيد فى (مذهبه ...) .

هذا هو مقصد هؤلاء الذين سماهم الأستاذ سيد قطب أولاداً لا أعراض لهم ، كما جاء فى إحدى مقالاته العظيمة التى جعل عنوانها (من لغو الصيف) وهى والله الجدّ كل الجد ، ليست باللغو ولا باللهو ، وهى من خير ما جرت به الأقلام فى هذا العصر . هذا هو مقصدهم : الاباحية !

إنه لا يغيظهم شىء ما يغيظهم أن يكون فى الكتاب من يدعو إلى الأخلاق ومن يحارب الاباحية ...

إننا نحاربها يا أولاد ، لأن لنا أعراضاً ، وأن لنا بنات وأخوات ، أما أنتم فلا بنات لكم ولا أخوات : ولو كنّ لكم لما بالبتم والله بأعراض بناتكم وأخواتكم ، ولكشفتموهنّ على البلاج ولجعلتموهن (مرشدات) . إنكم تؤثرون لذة الاباحية والانطلاق على شرف العفاف والحرمان ، ثم إنكم جاهلون تقولون ما لا تفهمون ، وتهرفون بما لا تعرفون ، أفسدتم بكتاباتكم هذه ملكة البيان فى نفوس النشء ، وأفسدتم خلق العفاف فى قلوبهم ، وأفسدتم ميزان المنطق فى رؤوسهم ، وتلقون مع ذلك مجلات تنشر لكم ما تكتبون ...

إنى أعود مرة ثانية فأقول : إن المصيبة ليست بهذا الدعى الجاهل ذنب فرنسا صاحب هذا الهذيان ولا بأمثاله ، ولكن المصيبة فى (حرية الكتابة) فمتى يصحو رجال الحكومات ، ويتنبه العقلاء ، فيكفوا هؤلاء الأولاد الذين لا أعراض لهم ، عنا وعن أعراضنا ؟

متى ؟ متى ؟ أبعد خراب البصرة ؟ !

على الطنطاوى

الأستاذ ساطع الحصرى

يقـــدم :

إلى المعلمين والمربين والوالدين والمفكرين

١ — آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية

٢ — آراء وأحاديث فى التربية والتعليم

وهما خلاصة مطالعات ، وزبدة تجارب ، فى ترتيب منطق ، وأسلوب سهل ، وصورة مشوقة . . . .

يطلبان من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب الشهيرة

٢٠ قرشاً للأول و ٣٠ قرشاً للثانى

عدا أجرة البريد

الحضارة المصرية
في عهد الدولة الوسطى

بحث للعلامة الأثري أرييك بيت

للأستاذ أحمد نجيب هاشم

عهد الاقطاع :

يطلق عادة على الدولة الوسطى — وتشمل بمعناها المحدود الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق . م) — عهد الاقطاع أي أن نظام المجتمع كان يشبه ذلك النظام الذي ساد في أوربا في العصور الوسطى — فهناك على رأس الحكومة يقوم الملك ، وهو لا يزال نظرياً مصدر السلطات كلها ، والكاهن الأكبر لكل الآلهة ، والمشرع الوحيد — ويليه عدد كبير من الأمراء المحليين يتسلمون أراضيهم منه ، ويدينون له بالولاء ، ولكنهم مستقلون عنه في إماراتهم ومقاطعاتهم استقلالا يكاد يكون تاماً . على أنه لاينبغي أن نغالي في الفرق بين هذه الأحوال وتلك التي سادت في عهد الدولة القديمة . فالفرق كان فرقاً في الكمية أكثر منه فرقاً في الكيفية . . .

ففي أواخر الأسرة السادسة سقطت مصر في فوضى شديدة نظراً لعجز الملوك عن الإشراف على الأمراء الأقوياء وضبطهم ، ثم لاغارة قبائل « عامو » الأسيوية على الدلتا . فاستقل أمراء المقاطعات وصاروا يتنازعون فيما بينهم ، فاضطرب الأمن واختلت أحوال البلاد ؛ لذلك كان تاريخ تلك السنوات مظلماً ، وعند ما ينبثق النور نجد الحكم في يد أسرة من الأمراء مقرها هيراقليوبوليس في مصر الوسطى — وقد ذكر مانيتون أنهم كونوا الأسرتين التاسعة والعاشرة — ونجد في الجنوب أسرة أخرى تقوم بالحكم في طيبة . هذه هي الأسرة الحادية عشرة ، وقد عاصرت الهيراقليوبوليسيين مدة ما ، ولا بد أن نزاعاً شديداً قام بين هاتين الأسرتين ثم انتهى بانتصار الجنوب انتصاراً حاسما.

ولما تولى الحكم الطيبيون ملوك الأسرة الثانية عشرة ، واجهتهم حالة تختلف كل الاختلاف عن تلك التي صادفت الملك مينا عند ما وحد القطرين — فقد انتهز الأمراء المحليون سنوات الاضطراب وعادوا إلى توطيد سلطتهم ، وتقوية نفوذهم حتى تجرأ أمراء « مقاطعة الأرنب » على قطع المرمر من محاجر حاتنوب ، وكان هذا الحق مقصوراً على الملك وحده ، وزيادة على ذلك أخذوا يؤرخون نقوشهم التذكارية هناك بتاريخ سنوات حكمهم الشخصي — وقد وحد أوائل ملوك هذه الأسرة الجديدة تلك العناصر المتفرقة ، ولكنهم لم يستطيعوا التغلب عليها فقبلوا حلاً وسطاً وذلك أنهم مقابل الولاء الذي طلبوه من هؤلاء الأمراء سمحوا لهم أو على الأقل لم ينكروا عليهم درجة كبيرة من الاستقلال المحلي .

إخضاع أمراء الاقطاع :

ولم يشعر الطيبيون أنهم في مركز قوي يسمح لهم بإخضاع أولئك الأتباع المشاكسين حتى تولى الحكم سنوسرت الثالث كما يتبين ذلك من توقف الأمراء فجأة عند بناء مقابرهم الصخرية في عهده بجهات البرشة وبني حسن ومير — ثم عاد الأمراء إلى تقوية نفوذهم في عهد أمنمحيت الرابع . فعادت الفوضى الداخلية إلى البلاد مرة أخرى ، ووقعت فريسة في أيدي الغزاة الأسيويين المعروفين بالهكسوس .

وبمقتضى هذا النظام الاقطاعي كانت سلطة الأمير في إقطاعيته تكاد تكون هي السلطة العليا . أجل كان بديهياً أنه عند ما تخلو إقطاعية من أميرها تعود إسمياً لفرعون كي يهبها مرة أخرى ، ولكن لعله كان من الصعب عليه أن يرفض الوارث الشرعي حقه فيها ، وقد وضح أحد أمراء أسيوط في العقود الكثيرة التي عقدها مع كهنة المعبد المحلي كي يتولوا تقديم القرابين لمقبرته بعد موته — الفرق بين ميراثه عن أبيه ، وبين أملاكه بحكم وظيفته كأمير . فالأولى يتصرف فيها بلا قيد ولا شرط حتى عن المستقبل ، والثانية لا يستطيع أن يتصرف فيها بعد موته

— وظل الملك كما كان الحال في عهد الدولة القديمة — حقوق مالية في كل أقليم، وكان موظفو الخزينة العليا يجمعون الضرائب .

القانون :

كان الوزير ساعد الملك الأيمن في كل المسائل الإدارية والقضائية ، ولا نعرف عن نظم القضاء نفسها أكثر مما نعرفه عنها في عهد الدولة القديمة ؛ بل ولا نستطيع أن نقول إلى أي حد كانت هناك مجموعة من القوانين التي تعالج الجرائم الجنائية — بيد أن معلوماتنا عن القانون المدني أحسن وأوفر ، فنجد بين نقوش مِتِن سلسلة من الوصايا تنتسب إلى حكم سنفرو أحد ملوك الأسرة الثالثة ، وهي على رغم قدمها تدل على الدرجة الراقية التي وصلها قانون العقار إذ ذاك ، وبين النقوش الواردة على جدران مقابر الأسرة الخامسة وصايا كثيرة عن أراض نظير خدمات جنائزية يقوم بها الموصى إليه لصاحب الوصية — كذلك تحوي أوراق البردى التي عثر عليها في اللاهون عدداً من العقود والوصايا مكتوبة بأسلوب راق وتعبيرات فنية تدل على أن كتابها محامون فنيون ولو أن هؤلاء لم يتمتعوا بلقب غير لقب الكاتب وهو بالهيروغليفية « سش » .

وأهم الوثائق كلها هي الواردة في نقوش مقبرة الأمير حبفظا أمير أسيوط السالف الذكر ، وفيها يعقد بصفته رئيس كهنة معبد أبواوت إله أسيوط المحلي عشرة عقود مع الكهنة يتنازل فيها عن جزء من نصيبه الحالي في القرابين التي تقدم إلى المعبد مقابل خدمات يقوم بها الكهنة له بعد موته — وهنا نجد التمييز القانوني بين ما يملكه الشخص بصفته الفردية وما يملكه بصفته موظفاً ، وبين هذه العقود واحد يعقده الأمير بين نفسه بصفته الفردية وبين رئيس كهنة أبواوت بصفته موظفاً ، وغني عن الذكر أن رئيس الكهنة هنا هو حبفظا نفسه

تدل هذه الوصايا والعقود على أن قانون العقار كان موجوداً ومحترماً في مصر في عهد الدولة الوسطى . والغالب أن القانون الجنائي لم يكن أقل تقدماً . ولا غضاضة علينا في أن نجرؤ فنظن بأن الأربعين درجاً التي حوت هذا القانون والتي كانت تبسط أمام الوزير في محكمته في أيام الأسرة الثامنة عشرة كانت موجودة بشكل ما أيام الأسرة الثانية عشرة .

الديانة والأخلاق :

ما مبلغ دلالة هذا النظام القانوني على وجود قانون خلق؛ ثم إلى أي حد كان لهذا إن وجد — أساساً دينياً ؟ — هذه أسئلة ليس من السهل الإجابة عليها ، وإن الصورة الناقصة التي لدينا عن الديانات المصرية أيام الدولتين القديمة والوسطى تمثلها كأنها شيء شكلي غير شخصي ، فمعبود الشمس « رع » الذي علت منزلته حوالى بداية الأسرة الخامسة ، وكان مندمجاً مع المعبود حوريس في شكل « رع حوريس الأفق » اندمج مرة أخرى بالإله آمون إله طيبة لما ارتقت منزلته بارتقاء الأسرة الثانية عشرة الطيبية الحكم ، وسمى « آمون رع » .

ولكن مما لا ريب فيه أن كان هذا الإله للمصري العادي شيئاً بعيداً غامضاً ؛ فقد كان اهتمامه الديني — مركزاً في إله مدينته أو إقليمه ، بل وهنا أيضاً كانت الديانة مجرد احترام للتقاليد والطقوس أكثر من كونها صادرة من الضمير، فالنقوش التي دونها الأمراء على جدران مقابرهم ، وتباهوا فيها بأعمالهم في حياتهم قلما تشير أو قد لا تشير بالمرة إلى أداء العمل الطيب لذاته أو لأن الآلهة تحض عليه . كذلك تعطينا أوراق البردى التعليمية الفكرة نفسها فخيثما تحث على اتباع الأمانة تحض عليها لمجرد أنها « تفيد » صاحبها .

وفي الوقت نفسه يمكننا أن نتتبع في الدولة الوسطى بداية ظهور مقياس خلق واعتقاد الحساب في الآخرة ، وهذا راجع إلى حد ما إلى انتشار عقيدة أوزيريس الذي اعتقد فيه أهل الدولة الوسطى أنه يسكن أبيدوس كإله الموتى، فنرى في النقوش الواردة على توابيت هذه الفترة أول إشارات إلى هذا الإله بأنه القاضي الذي يعرف الحق من الباطل ، وهذه فكرة لم تبلغ تطورها التام إلا في عهد الدولة الحديثة فقط؛ فلم تكن هناك في الدولة الوسطى قائمة الآثام المعروفة التي كان يتبرأ منها الميت أمام محكمة أوزيريس بالاعتراف السلبي .

ولكن ما مقدار هذا الخوف من حساب الآخرة ؟ أليس

فرويد ونظرية التحليل النفساني

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

مذهب فرويد أو فلسفته من المذاهب التي لقيت رواجاً عظيماً في العصر الحاضر، وأحدثت انقلاباً في علم النفس، وانقسم العلماء بالنسبة لآرائه إلى فريقين: معسكر الأنصار والمحبذين والتلاميذ، ومعسكر المنكرين والناقدين. ومن تلامذته الذين خرجوا عليه وكونوا مذاهب جديدة في تفسير الحياة الإنسانية « أدلر ويونج ».

ويرى فرويد — كما يرى غيره من علماء النفس — إلى تفسير الأعمال الصادرة عن الإنسان. فليس هناك عمل نفسي مهما خيل إلينا أنه تافه يخلو من معنى. فإذا بدا لنا أحد هذه الأعمال غبثاً، فواجبنا أن نسعى إلى كشف العلة في حدوثه، والغرض الذي يرمي إليه، والنزعة التي دفعت إليه.

ونضرب مثلا لما قدمنا يوضح ما يذهب إليه فرويد قبل أن ندخل في صميم نظريته: دخلت خطيبة إلى الحمام وخلعت خاتم الخطبة ونسيت أن تلبسه ثانياً، ثم أخذت تبحث عنه ولم تهتد إلى مكانه. نسيان الخاتم سلوك صدر عن الفتاة قد يفسره البعض أنه راجع إلى الشرود أو الانشغال أو الصدفة. وكثير من الناس لا يجدون تعليلا لهذا العمل. أما فرويد فيجعل السبب في ذلك رغبة الفتاة عن خطيبها وعدم رضائها عن الزواج، فتحركها هذه الرغبة الباطنة التي لا تشعر بها، لأنها موجودة في اللاشعور إلى نسيان الخاتم، وهو رمز الزواج.

هذه النظرة إلى الأعمال الإنسانية علمية وديناميكية:

فهي علمية لأن فرويد يحاول ربط المظاهر بالأسباب كما يجري في عالم الطبيعة. فهي نظرة جبرية Determinist. وليس هذا مما يعاب على فرويد، بل على العكس مما يمدح به محاولته هذا التفسير الجبري الذي بدونه لا يستقيم العلم الصحيح، بل يخرج علم النفس من ميدان العلوم.

وهي نظرة ديناميكية، لأنه يجعل للنفس الإنسانية قوى متحركة يصدر عنها السلوك. وفي ذلك يقول في كتابه « مدخل إلى التحليل النفساني » ما يأتي:

« ليس غرضنا أن نصف ونرتب المظاهر فحسب، بل نريد أيضاً أن نراها علامات على حركة القوى العاملة في النفس، كأنها مظاهر ميول لها غرض محدود، سواء أكانت هذه الميول تعمل في اتجاه واحد أم في اتجاهات متعارضة. إننا نسعى وراء تكوين نظرة ديناميكية Conception dynamique للمظاهر النفسية »

وقد أوردت هذا النص لعلة، ذلك أن أحد الباحثين في علم النفس، وهو الدكتور يوسف مراد المدرس بكلية الآداب قال في كتابه « شفاء النفس » ص ٩٥ ما يأتي:

« تمتاز فلسفة فرويد بكونها ميكانيكية جبرية، فإنها تنظر إلى الإنسان كأنه آلة عديمة الحرية خاضعة كل الخضوع لقوى خفية لا يمكن التغلب عليها إلا بالحيلة ». وقال في مكان آخر: « أما فلسفة ادلر، فهي على نقيض فلسفة فرويد، تمتاز بكونها غائية اختيارية تفاؤلية. ونعلم أن المذهب الغائي على نقيض المذهب الميكانيكي » ص ٩٧ – ٩٨. فهو يجعل مذهب فرويد ميكانيكياً

ويقول الطبيبان ريجي وهسنار في كتابهما التحليل النفساني ص١٥: «إن نظرية فرويد تمثل الحياة النفسية في نظرة موضوعية على طريقة النظر إلى الوقائع العلمية، كما تمثلها مذهباً (System) يتطور باستمرار، يحتوي على قوى أولية متعارضة أو مكونة أو منتجة. ونستطيع تطبيق اصطلاح علم النفس الديناميكي على هذه النظرة الديناميكية للعقل »

وقد أخطأ الدكتور يوسف مراد خطأ آخر ص٩٧: «وأخيراً يجب أن نشير إلى الشجاعة التي واجه بها فرويد المشكلة الجنسية وإلى الدقة الفائقة التي حلل بها مختلف مظاهر الوظيفة الجنسية، غير أنه أسرف، وخاصة تلامذته، في إرجاع كل ظاهرة سلوكية إلى الغريزة الجنسية »

وليس الأمر كذلك عند فرويد، لأنه لا يرجع كل شيء إلى الغريزة الجنسية، بل بعض تلامذته، وأولئك الذين كتبوا عنه كتابات شعبية تحمل معنى التعميم والتبسيط. وقد دافع فرويد عن نفسه ضد الذين يخطئون فهمه فقال: « لقد كررت وأعلنت بكل وضوح ما استطعت إلى ذلك سبيلا، بمناسبة الأمراض النفسية الانتقالية، أنني أميز تماماً بين الغريزة الجنسية وبين الغريزة النفسية (Tchtriebe)، وأن اللبيد Libida، يعني نشاط الغريزة الجنسية. إنه يونج — لا أنا — الذي

يجعل من اللبيد مساوياً للدافع الغريزى لجميع القوى النفسية ».

وقال فرويد فى موضع آخر : « لم يغفل التحليل النفسانى مطلقاً وجود ميول غير جنسية ، وقد أقام التحليل النفسانى بناءه على مبدأ الفصل التام الواضح بين الميول الجنسية والميول المتصلة بالذات أو الأنا le moi ، وقد أثبت التحليل دون انتظار الاعتراضات الموجهة إليه ، أن الأمراض النفسية ليست نتيجة الغريزة الجنسية ، بل نتيجة الصراع بين الأنا والغريزة الجنسية «Conflit entre Le moi et la sexuatitè.

وهنا نجد أن الدكتور يوسف مراد يقع فى خطأ ثالث إذ يقول : « إذ ليس هذا رأى فرويد كما رأينا ، لأن المرض قد يقع نتيجة الصراع بين الغريزة الجنسية والأنا فى حالة الشعور ، وقد يكون الصراع فى اللاشعور فقط . فالعنين الذى يشعر بعجزه عن مباشرة المرأة يضطرب نفسانياً لشعوره بالضعف ».

والغريب أن الدكتور يوسف مراد أنصف نظرية فرويد ص ٨٦ بقوله: « والواقع أن المشكلة النظرية التى أثارها التعارض بين فرويد وأدلر لا تزال حتى الآن متعلقة . بل يبدو أن النزاع بين الفريقين يزداد عنفاً ويتجاوز حدود المناقشة العلمية الهادئة إلى أساليب التهكم والتحقير » . ثم عاد وحقر نظريته بما يخرج عن الأسلوب العلمى

وأذكر الآن حالة مريض عالجته على طريقة فرويد لأثبت صحة نظريته . جاءنى شاب يشكو ضيقاً وقلقاً وتبرماً وانصرافاً عن الاستذكار ، وتبلغ سنه اثنين وعشرين عاماً ، يعيش مع أخيه الأكبر ، يتناول من والده مرتباً لمصروفه الشخصى أربعة جنيهات فى الشهر . سألته عن أحواله الجنسية فقال : إنه يتصل بالعاهرات ، ولكنه لايستطيع الزواج نظراً للظروف الاجتماعية إذ لايزال طالباً ، ولايستطيع الصبر عن المرأة . وبالبحث اتضح أن ضميره يؤنبه على هذه الصلة غير الشريفة ، فهناك صراع بين الغريزة الجنسية وبين نفسه الخلقية ، وكلاهما كان فى مستوى الشعور ، وحلت المشكلة بتعليمه التسامى بالغريزة الجنسية نحو الموسيقى التى برع فيها .

وحيث كان فرويد يجعل للغريزة الجنسية أهمية كبيرة فى حياة الإنسان ، ويجعل لتجاربه الماضية المسجلة فى اللاشعور أثراً فى سلوكه الحاضر ، فقد بحث فى الحياة الجنسية للفرد منذ ولادته ، حتى دور المراهقة ، وافترض أن الرضيع يشعر بلذة جنسية من امتصاص ثدى أمه ومن إخراج الفضلات ومن الملامسة مما لا يتسع تفصيله الآن

وإنما نذكر أهم الاعتراضات العلمية التى توجه إلى نظرية فرويد لتكون ماثلة بالبال

وأولها أن نسبة لذة جنسية إلى الرضيع والصغير فيها شىء كثير من الإسراف والغلو بل الجرأة . ثم إن فرويد يقيم بناء نظريته على دراسة المرضى والشواذ ، ويتخذ من هؤلاء سبيلا إلى أحكام عامة يصدرها على سواد الناس وهم الأغلبية ، فيحكم بالخاص على العام ، وبالشاذ على السليم . كما أنه لا يعنى أن تفسر شخصية الإنسان فى ضوء الغريزة الجنسية ، ولو عكسنا لأصبنا الحق ، فتصبح الغريزة الجنسية وما يتبعها من مظاهر إحدى وظائف الفرد التى تدخل فى حسابنا ، وليست كل وظائفه على رأى الغالين فى مذهب فرويد .

أحمد فؤاد الأهوانى

بادر باقتناء نسختك
قبـــل نفادها
من كتاب :
دفاع عن البلاغة
للأستاذ
احمد حسن الزيات
يطلب من دار « الرسالة »
ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً عدا البريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخـــــائبون . . . !

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

ان أولئك الذين يقسمون الحياة إلى قسمين: ملهاة، ومأساة، قصيرو النظر؛ فالحياة أكبر من هذين، وهي تحويهما لأنها أوسع من أن تحيد بحالتين فقط، وإن كانت هاتان الحالتان تمثلان طرفي نقيض

وحيث تنتهي الملهاة تبدأ المأساة في حياة كل فرد أومجموع، كما أن نهاية المأساة قد تكون بداية لملهاة جديدة ... وهكذا

والناجحون في الحياة هم أناس رأوا منها جانباً واحداً فقط. وبينهم وبين أن يدركوا معنى الحياة بصورة شاملة عبور الجانب الآخر ..

ولا يضير هذه القاعدة أن يعيش في الدنيا أناس جربوا النجاح حتى آخر لحظة من حياتهم، أو أن يكون هناك آخرون لم يصادفوا غير الفشل. فالواقع أن هؤلاء هم الشذوذ الذي يثبت القاعدة ولا ينفيها.

ويجب أن نفسر ما نرمي إليه من النجاح أو الفشل في الحياة الفردية، فقد يفهم كثير من الناس من النجاح جانباً واحداً مثلا، وقد يكون هذا الجانب هو الثروة عند الفقراء، أو الصحة عند المعلولين، أو سواء الخلقة عند المشوهين.

ولكن النجاح الذي نرمي إليه هو قدرة الفرد أو المجموع على بلوغ مثل أعلى لا يتقيد بحاجات الفرد الزمنية أو المادية، وينطوي على فكرة سامية وهدف مقصود.

والخائبون في بلوغ هذا الهدف، مع استمرار كدهم، هم الذين يستحقون العناية، لأنهم بذلوا جهدهم كله، وما زالوا يبذلون ...

***

قيل إن غادة جميلة لم يأسر قلبها حب، ولم تجرب بعد زكامه، اختصم حولها رجلان كأن كل واحد منهما يظهر لها أقصى غاية الحب والتضحية ... فحارت في أمرها، ولم تجد في قلبها هوى معيناً نحو أحدهما على التخصيص فصممت على أمر!

قالت لهما: إنها لا تشعر بميل قطعي إلى أحدهما، ولكنها ستهب نفسها للفائز منهما في صراع ينشب بين الإثنين، يقرر الغلبة لواحد منهما!

واصطرع العاشقان وتمت العملية بفوز الفائز ...!

والتفت هذا مفتوح الذراعين ليحتضن أمنيته في الحياة ... فما راعه إلا أن رآها منكبة على العاشق المصروع، تضمد له أوجاعه، وتهب له قلبها!!

فلما سئلت: لما ذا غيرت رأيها؟ أجابت بأنها لا تستطيع إلا أن تحترم ذلك الذي أفنى كل جهده في سبيل الحصول عليها، ولم يبق لديه بعد ذلك شيء يغنيه!!

وهذه المرأة سليمة الشعور، قويمة العاطفة، وهي خير مثال يضرب لفكرة تقدير « البطل الخائب »، وإن كان هو في هذا المثال قد خرق القاعدة فنال ما تمناه بسهولة ...

والنجاح السهل الذي يخيل لبعض الناس أنه ميزة يمتاز بها بعض من حبتهم الطبيعة ما يسمونه « الحظ »، قد شوه الواقع تشويهاً، وأصبح من جملة الشرور البشرية التي يكابد منها كل فرد في كل مجموع!

***

النجاح السهل هو ما يريده كل الناس في كل الأزمان، لأنه خير اختصار للمجهود الشاق الذي ينبغي على الحي أن يبذله في سبيل حياته!

وأسطورة « الحظ » هي الحلم الذي يطرق أخيلة الطامحين بعد كل كابوس!

وليس معنى هذا أن ليس هناك « حظ » في الدنيا، ففيها كثير من الحظوظ والمحظوظين، ولكنهم – هنا أيضاً – القلة التي تثبت القاعدة ولا تنفيها.

ومن هذه الأسطورة نشأت شرور « الحياة الخاملة » التي تبدأ بالمراهقة، وقد تنتهي بالسجن والعذاب، أو بشقاء المسؤوليات التي لا يستطيع الفرد أن يضطلع بها

والخاملون هم أولئك الناس الذين يريدون أن يختصروا الطريق إلى غاية معينة لكي ينصرفوا – من بعدها – إلى المثل

الأعلى الذي يسمون إليه ، فلا تنتهي حياتهم قبل أن يقطعوا الطريق ، وتلتاث أفكارهم في الصراع على الآونة الحاضرة ، ويصبح المستقبل عندهم أبعد من الماضي

والمقامرون هم خير مثال لذوي الحياة الحالة إذ كان مثلهم الأعلى هو الثروة ! والموسوسون هم خير مثال لأولئك الذين يريدون السعادة الطهرية من أقرب طريق !

***

أما شر ما يمكن أن يصنعه « الحالم » في هذه الدنيا ، فهو بعد أن يتحقق حلمه الأول

فليست هناك قوة تقنع الإنسان بعد تحقق أول حلم له بأنه غير موهوب وذي رسالة ينبغي عليه أن يؤديها

ومن هنا يبدأ النزاع الأبدي بين المنطق والواقع ، ويشتد الصراع بين قوة قوية دافعة ، وبين واقع واقف كالجدار

وتحل النكبة عند اختراق أول جدار ، لأنه يفك أسر جميع ما في الفرد من قوات مخزونة لكي يندفع إلى الأمام

ولا تنتهي حياة كهذه إلا بكارثة ، وأهون الكوارث في هذا المضمار هي الكارثة التي تقتصر على الشخص الفرد نفسه ، ولا يشترك معه آخرون

وما هذه الحرب التي نكابد شرورها إلا نتيجة كابوس طويل لرجل حالم تحقق حلمه الأول !

* * *

الخيبة مرحلة من مراحل الحياة يجب أن يتخطاها الفرد لكي يكون ذا تجربة

ولا يضير هذه القاعدة قول « أوسكار وايلد » إن « التجربة هي اللفظة التي اصطلح الناس على تسمية أخطائهم بها »

فالواقع أن الخطأ كالخطيئة ، هو الجانب الآخر الذي يقاس به الصواب والفضيلة . وكما أن الخطيئة عمل إيجابي قائم بذاته ، فكذلك الفضيلة ، وكل فضيلة مبنية على السلب فهي شق ينبغي تكملته

وكل نجاح سهل يحصل عليه الإنسان ، فهو الشق الناقص من حياته ، وينبغي تكملته

ومن لم يصطرع في حياته تهشم عند أول صراع بعد نجاحه

وليس انتحار الموسرين والأصحاء والموهوبين إلا لأنهم حازوا أكبر نجاح بأقل خذلان ، ولأنهم اصطدموا بالواقع لأول مرة في حياتهم ، جاءت الرجة أقوى مما يتحملون

ولهذا فلن يكون مما يضير الإنسان الكامل الإنسانية أن يكون « خائباً » !

عبد الوهاب الأمين

http://Archivebeta.Sakhrit.com

منطقة مصر العليا الشمالية

إعـــلان

تعلن منطقة مصر العليا الشمالية بأسيوط بأنه تقرر إنشاء مدرسة بها لتخريج ممرضات مساعدات ومولدات مساعدات وزائرات صحيات مساعدات . ويشترط فيمن تطلب اللحاق بالسنة الأولى بهذه المدرسة .

١ — أن تكون مصرية الجنس .

٢ — أن تكون حاصلة على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية أو التربية النسوية أو ما يعادلها .

٣ — أن لا يقل عمرها عن ١٦ سنة ولا تزيد على ٢٠ سنة .

٤ — أن تنجح في الكشف الطبي .

٥ — أن تقبل في اختبار شخصي يتبين منه حسن استعدادها لهذه المهنة

٦ — أن تكون حسنة السيرة مستعدة لأداء واجبها في جميع البيئات والظروف والأحوال .

٧ — تتعهد عند لحاقها بالمدرسة بالخدمة في مصالح الحكومة مدة ثلاث سنوات على الأقل بالماهية المقررة وفي الجهة التي تعين لها بالرضا وحسن القبول.

والطالبة التي تخل بتعهدها هذا تلزم بدفع عشرين جنيهاً لوزارة المعارف مقابل تعليمها بالمجان . وترسل الطلبات إلى مدرسة أسيوط الثانوية للبنات والتعليم بالمدرسة بالمجان ومبيت الطالبات وغذاؤهن بالمجان أيضاً . ٦١٢٢

الأدب في سير أعلامه :

ملـــتن . . .

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال . .]

للأستـــاذ محمود الخفيف

— ٢٧ —

في ميدان السياسة :

ورضيت حكومة كرمول عن ملتن أعظم الرضـاء وأصبح لديها المكين الأمين ، ورفع كتابه ذكره في أنحاء أوربا ، ومما ساعد على ذلك أن كثيرين كانوا يضيقون بترفع سلامسيس وصلفه ونظرته إلى الكتاب والأدباء جميعاً نظرة الزعيم الذي لا يرضى منهم بغير الإذعان له ، وساعد عليه كذلك أن الناس عادة ينجذبون إلى الكاتب الجديد الذي يظهره موقف كهذا الموقف . هذا إلى أن ملتن كان يتغنى بالحرية ويدافع عن حق الشعب فتشيع في عباراته حرارة الوطنية ، وهو انجليزي يناضل عن بني جنسه ، بينما يرى الناس سلامسيس يعمل لحساب غيره في قضية لا يربطه بها رباط إلا استجابة لشارل الثاني ، وشتان بين موقفه وموقف خصمه ...

وأصبح مقر ملتن في ديوان الحكومة كما أصبح بيته قبلة الزائرين من ذوي المكانة وأعلام الأدب من الإنجليز وغير الإنجليز من الأجانب الذين يهبطون انجلترة ، ولا ريب أن هذا قد أثلج فؤاده وأبهج نفسه ، فما أشد ولوعه بنباهة الشأن وبعد الصيت ! !

ويزعم جونسون أن ملتن قد نال جزاءاً على صنيعه ألف جنيه صرفت له بإذن من البرلمان ، ولكن بايتسون ينكر هذا الزعم ويقول : إن جونسون هو المسؤول عن شيوعه في كل ما كتب عن ملتن من تراجم ، فهو خالق هذا الزعم ؛ والحق أني لم أجد فيما زعم جونســون برهاناً لزعمه ولا فيما أنكر بايتسون دليلا لإنكاره ، ولعل جونسون تأثر بما قاله سلامسيس إذ أنه اتهم ملتن فيما اتهمه به بأنه مأجور يكتب ما يكتب لا عن عقيـدة ولكن عن رغبة في الكسب ، ويعتمد بايتسون في نفيه هذا عن ملتن على مجرد استبعاد حدوثه ، فما يتفق هذا وما طبع عليه ملتن من كبرياء واعتزاز

على أن ملتن في الواقع قد دفع ثمن ما كتب ، ودفع ذلك الثمن غالياً لا يقوم بمال ولا بشيء من أعراض هذه الحياة ، وأي شيء أغلى عليه من ناظريه ؟ لقد كان ذلك المجاهد الحر يشكو العلة في عينيه منذ بضع سنين ، وكانت تنتابهما غشاوة من حين إلى حين ؛ وفي سنة ١٦٥٠ ذهب النور من عينه اليسرى ، وحذره الطبيب ملحاً ، وما برح يكرر عليه أنه إذا أجهد عينه اليمنى ، فهي ذاهبة كأختها لا محالة ، ولكنه جاد على وطنه بما بقي من بصره ، قال في ذلك بعد أن وقعت الكارثة بسنتين أي سنة ١٦٥٤ : « لقد كان علي أن أختار بين أن أنكص عن واجب سام أو أفقد بصري ، وفي هـذه الحالة ما كنت لأستطيع أن أصيخ إلى الطبيب ... ولم يك في وسعي إلا أن أستجيب إلى ذلك المرشد القائم في داخلي ، ذلك الذي لست أدري ما هو ، والذي تحدث إلي من السماء ، واعتبرت في نفسي أن كثيرين قد اشتروا ما هو أقل خيراً من هذا بشر هو أعظم مما يتهددني من ضر ، كهؤلاء الذين يبذلون نفوسهم مثلا ليشتروا المجد فحسب ؛ وعلى ذلك فقد جمعت عزمي على أن أبذل ما بقي من بصري على قلته في أداء أعظم ما في طوقي أداؤه من خدمة للصالح العام »

ولقد أقبل المجاهد المصمم لم ينكص عن جهاده ، وإنه ليعلم أن ذهاب بصره هو عقباه التي لا محيص عنها ؛ وما دخلت سنة ١٦٥٢ حتى حلت به الكارثة وا أسفاه ، فحيل بينه وبين النور ، وغشيته الظلمة ، وهو لا يزال من عمره في الثالثة والأربعين وباتت عيناه اللتان كانتا أجمل ما في محياه الأبلج الحلو أقوى دواعي الحزن والألم لكل من تطلع إلى ذلك المحيا الكريم ؛ وكانت الأرض يومئذ تأخذ زخرفها وتتزين للربيع ، ولكن الشاعر الذي عشقت روحه الجمال لن يرى بعد اليوم جمالا لربيع !

وما نحسب أن في تاريخه على ما يزخر به من الشواهد على شجاعته شاهداً هو أجل من هذا أو أصدق منه أو أبعد أثراً في النفوس ، وإنا لنحس حياله مثل ما نحسه حيال فارس ترك في الميدان شلوا من أشلائه : أو سقى أرض وطنه بفيض من دمه !

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولأن فقد البصر يحول بين عامة الناس وبين متع الحياة ، فذهاب بصر الشاعر أو الكاتب معناه الحيلولة بينه وبين طلب الحكمة ، وهذا أوجع فى نفسه وآلم لخاطره من حرمانه من اللهو ومن زينة الدنيا ؛ ولنا أن نتصور وقع هذا فى نفس كنفس ملتن ، ذلك الذى ما انصرف يوماً عن القراءة والدرس على الرغم من كثرة شواغله وتعدد مشاكله !

البطل الضرير

أحاطت الظلمة بالشاعر العظيم ، فهل ذهبت نفسه حسرات على ما أصابه ؟ كلا ، بل تماسك للخطب وقد أُنذِرَه قبل وقوعه ، وتذرع بالصبر ، وإنه لذو كبرياء حتى على الدهر وأرزائه ؛ وما كان لروح مثل روحه أن تهن مهما كرثته الأهوال ونزل به ما يعيا بحمله الرجال !

وراح البطل يتلمس العزاء لنفسه ، فكان عزاؤه الذى اطمأنت إليه روحه أنه أدى لوطنه صنيعاً جليل القدر بكتابه الذى رد به على سلاميس ، فليس بضائره بعد ذلك أن يذهب فى سبيل صنيعه بصره ...

وثمة عزاء آخر يدلنا على شدة اهتمام ملتن بنفسه وفرط اتجاه فكره إلى ذاته ، وعظم انطواء شعوره على ما عسى أن يكون شعور الناس نحو شخصه لا فى جوهره فحسب ، ولكن فى مظهره كذلك ؛ وذلك ما أحس به من ارتياح ، إذ علم أن ذهاب بصره لم يؤثر فى مظهر عينيه ؛ عبر عن ذلك الارتياح فى قوله : « إن عينى لم يمسهما فى مظهرهما ضر ، وإنهما لتلتمعان بضوء لم تحجبه غشاوة ، ومثلهما فى ذلك مثل عينى من يبصر بصراً تاماً ، وهذه هى الناحية الوحيدة التى أجدنى فيها على الرغم منى منافقاً » ؛ وفى إشارته إلى ما عده نفاقاً منه سخرية عذبة وتهكم لا يخلو من مرارة ...

ولندع ملتن نفسه يفصح عما جال فى خاطره نتيجة لما أصابه ، فقد عبر عن ذلك أبلغ تعبير وأصدقه فى مقطوعة من مقطوعاته ، وأشار إليه إشارة رائعة فى مقطوعة أخرى ، قال فى الأولى : « إذا أنا تفكرت كيف انطفأ من حولى الضوء قبل أن أقضى نصف أيامى فى هذه الدنيا الواسعة المظلمة ، وكيف عطلت فىَّ تلك الملكة الوحيدة[1] التى يعد تعطيلها موتاً من الموت ، بينما أجد نفسى أكثر نزوعاً لأن أخدم بها خالقى[2] وأن أقدم حسابى الحق بين يديه ، خشية أن يحق علىَّ لومه ؛ إذا أنا تفكرت فى ذلك تساءلت فى حماقة : هل جعل الله النهار للعمل ، بينما أحرم هكذا من الضوء ؟ ولكن الصبر كى يقضى على هذه الشكوى لايلبث أن يجيبنى : إن الله غنى عن عمل الإنسان وعن مواهبه[3] فإن الذين يذعنون لسلطانه الرحيم خير إذعان هم الذين يخدمونه خير خدمة ، وإن مكانته لهى مكانة الملك المهيمن ، يجرى بأمره الألوف[4] فى البر والبحر دائبين ، وكذلك يخدمه من هم واقفون لأمره منتظرون » ... وقال ملتن فى المقطوعة الأخرى يخاطب صديقه سيريك سكِنَر : « أى سيريك ، منذ ثلاث سنوات وهاتان العينان وهما من النور سليبتان ، ولو أنهما سليمتان فى مظهرهما الخارجى من العيب ومن الغشاوة قد نسيتا إبصارَهما ، ولا يقع فى مقلتيهما المكفوفتين منظر لشمس ولا لقمر ولا لنجم خلال العام ولا لرجل ولا لامرأة ، ومع ذلك فلست أشكو يد الله ولا مشيئته ، لا ولا ينقصنى شىء من حماسة القلب ومن الأمل ، بل أحتمل وأمضى قدماً ، ولعلك تسأل : ما ذا يعيننى ؟ ألا إنه شعورى أيها الصديق بأنى فقدتهما مرهقاً بالعمل فى سبيل الدفاع عن الحرية ، ذلك العمل النبيل ، عملى الذى ترن به أوربا من جانب إلى جانب ؛ وإن هذا الخاطر لخليق أن يقودنى فى متاهة هذه الدنيا ، فأسير به رضىَّ النفس ، ولو أننى أعمى ولم يتح لى غيره رائدا أسمى »

واختير له فى أبريل سنة ١٦٥٢ مساعد يصرف شؤون وظيفته بأمره ، ويقرأ له ما يقتضيه عمله من قراءة ، ويكتب ما يمليه عليه مما يستدعى العمل أن يدون ؛ وأقبل ملتن على عمله كأن لم يعقه عنه عائق ، يشعر من يدانيه أنه رخى البال مطمئن الخاطر ، لا يفتر اهتمامه بالسياسة ، ولا يتخاذل عزمه أو تتطامن كبرياؤه ...

وفى مايو استطاع ملتن ولم يمض شهر على مصيبته أن ينظم

(١) يقصد ملكة الكتابة
(٢) فى ذلك إشارة إلى ما كان يفكر فيه من موضوع لقصيدته
(٣) غنى بملائكته (٤) من الملائكة

مقطوعة وجهها إلى كرمول عنوانها «إلى اللورد جنرال كرمول» ولم يك كرمول يومئذ قد سمى حامى الجمهورية بعد ، وإنما كان بسبيل أن يحمل هذا اللقب ، إذ كان ينظر إليه كأعظم رجل في الدولة ، وألزم شخصية لسلامتها إذ ذاك ، وقد نجاها بعد هزيمة الملك مما كان يتحيفها من مهالك ، فأعاد النظام إلى إرلندة سنة ١٦٤٩ ، وهزم الملكيين في اسكتلندة سنة ١٦٥٠ والتي تليها وأجبر شارل الثاني على الفرار إلى فرنسا ؛ وبذلك قبض على أزمة الحكم في المملكة جميعاً ، ولم يبق يستدعى حكمته وهمته إلا ما يتصل بالناحية الدينية ، فقد كثرت الفرق والطوائف التي يخشى من اختلافها بعضها مع بعض ، فهناك قساوسة شارل الأول ، وهناك البرسبتيريز ثم المستقلون ؛ وتركت بعض الكنائس بغير رعاة من هؤلاء ولا من هؤلاء ؛ ودعا فريق إلى أشراف الدولة على الكنيسة بحيث يتمشى النظام السياسي الجديد مع نظام ديني يشاكله ، ورغب فريق آخر إلى القضاء على الكنيسة الأنجليكانية ، أى كنيسة الدولة الباقية من عهد شارل ، واقترح بعض المستقلين وضع نظام جديد لكنيسة لايقبل فيها رجل من رجال الدين إلا إذا أقر خمسة عشر مبدأ أساسياً وضعها هؤلاء ، وإذ ذاك لم يرض ملتن عن هذه القيود ، واهتاجه الحنين إلى الدفاع عن الحرية ، وتخالجه السخط على هؤلاء الذين يريدون شراً بالحرية الدينية في عهد الحرية السياسية ، فنظم مقطوعة يناشد ملتن أن يتجه من شؤون الحرب إلى شؤون السلم ليدافع عن الحرية الدينية في مهارة وجدارة ، كما دافع عن الحرية السياسية !

وكأنما كان بين ملتن وبين القدر ثأر ، فلم يكد يفيق مما غشيه ويذهب عنه روعه ، حتى روع بموت وحيده الطفل فأرمض جوانحه الحزن ، وكان لا يذكر ولده أو يقع في سمعه إشارة إليه من قريب أو من بعيد إلا تبادر دمعه فامتلأت به عيناه الكفيفتان فما استطاع — وهو القوى الجلد — أن يحبسه ! وضربه الدهر ضربة أخرى ولما يرقأ دمعه ، إذ ماتت زوجته بعد ابنها بشهر وبعض شهر في يونيو سنة ١٦٥٢ ، وقد وضعت له أنثى فتركتها في سرير الوضع ووسدت التراب وهي بعد في السادسة والعشرين وقد مضى على زواجها بملتن تسع سنوات ، وعاشت معه نحو سبع سنوات بعد أن صلحت ذات بينهما

وهكذا تتوالى عليه المحن وتتنوع صروف الدهر فتمحصه وتثبت فؤاده ، ويجمع في حياته بين وجهي الشجاعة ، فله إلى جانب إقدامه وحميته عظم صبره وصرامة عزيمته !

وحق له أن يستريح من السياسة ومتاعبها ، وأن يطلب العزاء في قيثاره وله في هوميروس من قبله أسوة ؛ وما يكون له بعد ما حاق به عزاء إلا الشعر ، لعله يقضى منه مأرب صباه ومنزع هواه بعد أن شغلته عنه الحوادث سنوات طويلة

ولكن البطل الضرير لم يكد ينزع إلى الراحة ويستنشى نسائم الشعر ، حتى انبعثت صيحة جديدة من نفس المكان الذى انبعثت منه الصيحة الأولى ، فنشر في هيج كتاب جديد باللاتينية سماه صاحبه «استصراخ دم الملك السماء على الخائنين من الإنجليز» وأخذ مؤلفه يسخط على كرمول وجنوده في عبارات شديدة نجد مثالا لها في قوله : «إن جريمة اليهود بصلب المسيح ليست شيئاً مذكوراً إذا قيست بإعدام شارل الأول» ؛ ثم راح يمتدح سلماسيس ويطنب في مدحه ويغلو في ذلك غلواً كبيراً ؛ وبقدر ما أسبغ على سلماسيس من مدح كانت سهامه التي قذف بها ملتن ، فهو عنده دودة تدب من كومة قمامة ، وهو أحط من القرد وأكثر ضآلة من البقة ، وهو أرنب فأر وصعلوك جائع هزيل ، وإنه الجاهل طرد من كمبردج لاستهتاره وتبذله . وفر إلى إيطاليا لما لحقه من عار إلى غير ذلك من عبارات أقل ما توصف به أنها البذاءة في أشنع صورها وأرذلها .

(يتبع) **الخفيف**

قريباً تصدر «مطبعة الرسالة» كتاب :

اللغـــات في القرآن

كتاب طريف نادر

يتضمن لغات خمسين قبيلة

من القبائل العربية وجدت في القرآن

لا توجد في مصدر آخر

رواية عبدالله بن الحسين بن حسنون المقرئ المتوفى ٣٨٦ هـ

حققه وصححه

صلاح الدين المنجد

الحلم والتحلم . . .

للاستاذ محمود عزت عرفة

— ٢ —

« إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتخير الخير يعطه ، ومن يتوق الشر يوقه »

حديث شريف

معاوية بن أبي سفيان :

استبد معاوية بأمر الشام بعد إذ جنح إليه سواده ، وقامت بنصرته أجناده ؛ فناوأ بهم « علياً » على عرش الخلافة ، وأضرم على أهل البيت وأبناء العراق من شيعة أمير المؤمنين نار حرب عوان أعادت أيام الجاهلية جذَعة بعد أن عفّت على ترابها أخوة الإسلام ، ومسحت جراحها يدُ الشريعة السمحة . ومهما يكن من شأن معاوية فلقد كان صحابياً جليلا عامر القلب بالإيمان ، زاخر النفس بالورع والتقوى ، أشدّ ما يكون خليفة حدباً على الإسلام والمسلمين ، وأعظم ما يكون خشية على هذه البنيّةِ الناهضة أن تتصدع وتنهار ، وهو يرى جوائح الحرب تعصف بقوائمها وتتحيف من دعائمها .

ولعله كان بسبيل أن يراجع أمر نفسه ، ويتدبر السبيل للخروج بالمسلمين من هذا المأزق الذي التاثوا فيه عند ما قُتل « على » بيد ابن ملجم ، فاستقر زمام الأمور بيد معاوية ، وتدلت إليه قطوف النصر ثمراً جنياً .

ولم يصعب عليه بعد ذلك أن يعالج أمر الحسن بن عليّ بما يكفيه مؤنة قتاله ويدفع عنه شرّ خلافه ؛ فالتأمت صفوف المسلمين وأغمدت سيوفهم ، وسمى معاوية هذا العام عام الجماعة[1] وكانت مسرته بالغة بما آل إليه أمر هذا الخُلْف ، وثقته في مستقبله عظيمة عظمَ قوته في حاضره ، ثابتة ثبات كفاحه في ماضيه ؛ حتى لأقبل غداة النصر على أعدائه من بني هاشم باسط اليدين بالمنحة وبالعفو وهو يقول :

يا بني هاشم : والله إن خيري لكم لممنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ، فلا يقطع خيري عنكم علة ، ولا يوصد بابي دونكم مسألة .

سلك معاوية نهجاً من التسامح امتلك به القلوب ، وبقدر اطمئنانه على ملكه كان تسامحه وإغضاؤه ، وعلى حسب مقدرته على الأخذ كان جنوحه إلى الإهمال والترك . يقول في خطبة له مشهورة ألقاها بالمدينة عام الجماعة : « والله لا أحمل السيف على من لاسيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك دَبْر أذنى وتحت قدمى » .

وكأنما كان يخجل معاوية أن يحول بين أعدائه وما يتشهّون من تناوله بألسنتهم ؛ بعد إذ تناولهم هو وجنوده غير راحمين طعناً وضرباً بأطراف الرماح وأسنة السيوف . ولقد دخل وهو خليفة على صعصعة بن صوحان العبدى — وكان سجيناً عنده — فقال له صعصعة في حوار بينهما غير راهبٍ منه ولا خاش : أما والله مالك في يوم بدرٍ مضرب ولا مرمى ، وما كنت فيه إلا كما قال القائل : « لا حلى ولا سيرى » ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإنما أنت طليق ابن طليق ، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنى تصلح الخلافة لطليق ؟

فقال معاوية : لولا أنى أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول :

قابلتُ جهلهُمو حلماً ومغفرة
والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

... لقتلتكم !

ولقد أسبغ معاوية عطفه على أهل الشام لسابق مآثرهم عنده ، وزادهم على العفو واسع العطية وجميل الإقبال ، حتى لأفضل مرة بمائة ألف على أبي جهم بن حذيفة حين قال له : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال :

نميل على جوانبه كأنا نميل — إذا نميل — على أبينا
نقلّبه لنخبرَ حالتيهِ فنخبر منهما كرماً ولينا

وقسم مرة قُطُفاً (جمع قطيفة) فأعطى شيخاً من أهل دمشق قطيفة فلم تعجبه ، فحلف أن يضرب بها رأس معاوية

(١) كان ذلك سنة ٤١ من الهجرة ، وقتل على سنة ٤٠ هـ .

فأتاه فأخبره . فقال له معاوية : أوفِ بنذرك ، وليرفق الشيخ بالشيخ !

كان تحلّم معاوية إذن تكفيراً لما سبق من ضروب الأذى أو وفاء لما مضى من سوالف الجميل ... ولقد أراب ذلك كثيراً من المؤرخين — ممن سجلوا حوادث عصره — حتى لا تّهموه في هذا الحلم المتصنع ، ولم يثبتوه له كفضيلة يحمد عليها ؛ وكان ذلك إما حقداً عليه وغمطاً لحقه ، وإما توسعاً في استنباط سريرة نفسه ، واستكناه بواعث تصرفه ؛ جرياً على سنة المتفلسفين والنقدة من أمثال الجاحظ ؛ فقد ورد في كتابه البيان والتبيين(1) إنه قيل لشريك بن عبد الله(2) : كان معاوية حليما ! فقال : لو كان حليما ما سفه الحق ولا قاتل عليا ، ولو كان حليما ما حمل أبناء العبيد على حرمه ، ولما أنكح إلا الأكفاء . ثم يقول الجاحظ : وأصوب من هذا قول الآخر(3) : كان معاوية يتعرض ويحلم إذا أسمع ، ومن تعرض للسفيه فهو سفيه . وقال الآخر(3) : كان يحب أن يظهر حلمه ؛ وقد كان طار اسمه بذلك ، فكان يحب أن يزداد في ذلك .

وكيفما كان الرأي في حلم معاوية فقد وطد بهذا الخلق الكريم ملكه ، ومسح ببلسمه الجراح التي أسال دماءها ؛ ولم يكن ليلومه على هذا التصرف إلا غرٌّ مأفون ، أو نزق أرعن سفيه ، وكذلك كان ابنه يزيد الذي عتب على أبيه يوماً فقال : لقد أفرطت في الحلم حتى خفتُ أن يعد ذلك جبناً (! !) فأجاب الوالد الحصيف : ليس مع الحلم ندامة ولا مذمة ...

أبو جعفر المنصور :

يعد الناس أبا جعفر مؤسساً لملك بني العباس ، بما بذل في ذلك من همة وأنفق من جهد ... لكن سبقه إلى تبوّء عرش الخلافة أخوه أبو العباس السفاح ، ومن ثم يصطلح المؤرخون على تلقيب أبي جعفر بالمؤسس الثاني للدولة العباسية ، ولقد أفضى اللواء إلى يده بعد أخيه فنهض بأعباء الكفاح وحده ؛ وعنف على مناوئيه عنفاً مزق به أديمهم وفلّ حدهم ، إذ كانوا من القوة ومن الكثرة — وهو الضعيف بجدة ملكه القليل بعدة أنصاره — بحيث لا تجدي مع مثلهم المهادنة ، أو تدفع من بأسهم المطاولة والمصانعة . كان ملك بني العباس كنبتة غضة لا تكاد تنهض على ساقها لتأخذ حظها من الغذاء والنماء ؛ إلا أن يحيطها بسياج متين من القوة والبطش يرد عنها كيد الموتورين من بقايا آل مروان ، وثورة الحاقدين من شيعة آل هاشم ، وسائر من يتربصون به الدوائر من العرب . ولم تكن قد تهيأت بعدُ لخلفاء بني العباس تلك القداسة التي حظوا بها على تطاول السنين ، وإنما كانت أكثر العيون تنظر إليهم كدهماء ارتفعوا على ظبات السيوف إلى تلك المكانة العلية التي بلغوها ، فلا غرو إذن أن تكون ظبات السيوف وحدها هي التي تحفظ عليهم هذه المكانة ، وتقرها فيهم وفي أحفادهم من بعدهم(1) . قال عبد الصمد بن علي العباسي للمنصور يوماً : لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو . فقال المنصور : لأن بني مروان لم تَبْلَ رممهم ، وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء ؛ فليست تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة !

تلك كانت سياسة المنصور التي أخذ نفسه باتباعها مواجهة منه للمخاطر التي تتهدد ملكه ؛ ولقد بعثته الريبة على أن يبسط يده بالعدوان إلى أقرب الناس إليه ، من وزرائه وخاصته وأعوانه فضلا عن أعدائه والخارجين عليه . فاستقام للمنصور الأمر ، وعنت له الوجوه رغبة منها أو كرهاً ، حتى لعادت إلى نفسه بعد حين تلك الطمأنينة التي تفيء معها النفوس إلى جانب من الحلم والإسجاح ...

(1) صفحة ١٦١ من الجزء الثالث . طبعة السندوبي .

(2) كان شريك بن عبدالله النخعي عالما فقيها تولى القضاء بالكوفة والأهواز أيام المهدي ، ثم عزله الهادي . وقد ولد سنة ٩٥ هجرية بمدينة بخارى وتوفي بالكوفة عام ١٧٧ هـ .

(3) لعل الجاحظ إنما كان يعني نفسه بهذا الآخر الذي يحكي عنه .

(1) يضاف إلى هذا أن استيلاء العباسيين على الخلافة كان ينطوي على الخيانة لأبناء عمومتهم العلويين ، إذ كانت الدعوة إنما بدأت باسمهم منذ عهد بني أمية حتى سلبهم العباسيون حقهم فيها ويدل على تبلور هذه الفكرة وشدة استيلائها على الأذهان ما حاوله المأمون فيما بعد من تحويل الخلافة إلى علي الرضا بن موسى الكاظم ، حتى صده العباسيون عن ذلك بانتخابهم عمه إبراهيم بن المهدي في بغداد ، وقد رجع المأمون عن رأيه وتخلص من علي الرضا بطريقة غامضة ثم قدم بغداد ، فلاذ عمه بأذيال الفرار حتى وقع القبض عليه عام ٢١٠ هـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكأنما كانت نفس المنصور قد غثيت لمنظر هذه الدماء التي أفاضها أنهاراً ؛ أو عادت إليه ثقته ووقاره بعد أن طاحت بهما رهبة الحوادث ، أو هو قد بلغ من نفسه هذا الزجر والتقريع الذي كان يلقاه به أمثال عبد الصمد بن علي من فضلاء أصحابه ، وذوي الرأي والنصيحة فيهم ؛ أو كأنما استشعر المنصور قلق الرعية من هذا الكابوس الجاثم فوق صدورها ، ورأى مرجل الحفيظة والسخط يغلي في قلوب الناس فمال إلى شيء من التحلم بقدر ما استراحت إلى ذلك نفسه ، وكان عجيباً — عند النظرة غير الدقيقة — أن يصدر مثله عن مثله !

ولعله كان لا يزال يعالج هذا الأمر من نفسه ، ويتكلف الدربة عليه ، ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ... عند ما اعترضه المعترض في خطبة له وهو يذكّر بالله تعالى فقال : أذكّرك من ذكّرتنا به يا أمير المؤمنين !

فكان من جوابه أن هشّ للاعتراض وبش ، وذكر الله واستعاذ به ثم قال : وما أنت يا قائلها فوالله ما الله أردتَ بهذا ، ولكن ليقال قام فلان فقال ، فعوقب فصبر ، وأهوِنْ بها من قائل لو كانت . وأنا أنذركم أيها الناس أختها ! فإن الموعظة الحسنة علينا نزلت وفينا نبتت ... ثم أخذ بقائم سيفه وقال : إن بكم داء هذا شفاؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، فليعتبر عبدٌ قبل أن يعتَبَر به ، فما بعد الوعيد إلا الإيقاع ؛ وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

كان المنصور — وقد ظفر برؤوس أعدائه - لا يضيره أن يعفو عن أذنابهم ، وأن يضفي ثوب حلمه على من نهض مع الرؤساء من أوشاب الناس وعامتهم ، لأن إشمال العقوبة لا يخلو من الظلم ، والعفو عن العامة — وهم سريعو النفرة سريعو الفيئة — أقوم بأسباب الملك وأجمع لشمل الرعية ، وأكفل بتقدم الحياة وانتظام العمران .

قال المنصور يوماً لجعفر الصادق : قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربي — يعني عند ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي فيهم [1] — وقد رأيت أن أبعث إليهم من يعوّر عيونهم ويجمّر نخلهم . فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ! إن سليمان أُعطي فشكر ، وإن أيوب ابتلي فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ، فاقتدِ بأيهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون . فقال أبو جعفر : إن أحداً لا يعلمنا الحلم ، ولا يعرفنا العلم ! وإنما قلتُ هممت ولم ترني فعلت . وإنك لتعلم أن قدرتي عليهم تمنعني من الإساءة إليهم ...

(١) يلقبونه النفس الزكية . خرج بالمدينة عام ١٤٥ هـ وقتل في رمضان من نفس السنة ؛ قتله عيسى بن موسى قائد جيش المنصور .

وتحقيقاً لهذه الأغراض البعيدة نفسها كان عفو المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، فإنه كان ممن شق عصا الطاعة ، وداهن في شأن إبراهيم بن عبد الله العلوي [1] . فلما صار إلى المنصور أمر الربيعَ بخلع سواده [2] ، ووقف به على رءوس اليمانية في المقصورة في يوم الجمعة ، ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين ، قد عرفتم ما كان من إحساني إليه وحسن بلائي عنده ، والذي حاول من الفتنة والغدر والبغي وشق العصا ومعاونة الأعداء ... وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم ، وغادركم لوفيكم !

وحُمل إلى المنصور عبد الحميد بن ربعي بن خالد بن مِعْداق فقال : لا عذر فأعتذر ، وقد أحاط بي الذنب ، وأنت أولى بما ترى . قال : لست أقتل أحداً من آل قحطبة [3] بل أهب مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم .

وعفا المنصور عن عمه عبد الله بن علي بعد أن تمت هزيمته على يد أبي مسلم الخراساني ، واكتفى باعتقاله حتى مات في محبسه [4] .

وهكذا بدأ المنصور قاسياً شديد القسوة ، ثم تكلف من التحلم ما أفضى به إلى قريب من الحلم ، عند ما استتب له الأمر وبلغت الطمأنينة من نفسه مبلغها .

(يتبع) **محمود عزت عرفة**

(١) أخو النفس الزكية . دخل البصرة وأعلن البيعة لأخيه ، ثم استولى على الأهواز وواسط . قتله عيسى بن موسى في موقعة باخمرى لخمس بقين من ذي القعدة سنة ١٤٥ هـ .

(٢) شعار العباسيين ومن على ولائهم .

(٣) كان قحطبة بن شبيب الطائي أحد الدعاة العباسيين ومن نقبائهم الاثني عشر ، عقد له إبراهيم الإمام اللواء بيده ، وصرفه إلى أبي مسلم في خراسان (سنة ١٠٣ هـ) فأبلى في قتال الأمويين البلاء الحسن .

(٤) كان عبد الله بن علي والياً على الشام ثم ثار عام ١٣٧ هـ طمعاً في الخلافة ، ولما هزم لجأ إلى أخيه سليمان بن علي بالبصرة فأسلمه إلى المنصور سنة ١٣٩ ، وظل في سجنه حتى مات سنة ١٤٧ هـ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

علوم البـــلاغة
بين القدامى والمحدثين

للأستاذ كامل السيد شاهين

مدرسة الرسالة ، لها طابعها الخاص ، في المساجلة والنقاش على هذا أسست ، وامتحنتها الأيام بضروب من المحن ، فثبتت على الزعازع ، وانتصرت على الأغراض والأهواء . يعلم ذلك من تابع « الرسالة » منذ مولدها الميمون إلى حاضرها الزاهر .

فالرسالة للجميع بلا تفضيل ولا إيثار . لأن البحث والدرس يلدان الحقيقة التي كانت نشدة أصحاب العقول منذ خلقت الفلسفة وبهما تقررت الحقائق وثبتت ، ولم يسفها التضليل مع السافيات .

إذا تقرر هذا ، فليسمح لي الزميلان : الطنطاوي والعماري ، أن ألفت نظرهما في رفق إلى مزالق ما كنت أحب لهما أن يتورطا فيها ، أو ينحدرا إليها فقد راع الأول أن يقول أستاذ البلاغة في الجامعة « الله يقول لنبيه : يا أخي أنت حارق نفسك ليه ؟ » ، وراح يزعم أن هـذا إشراك وكفر ، ويستعدي على الجامعة والجامعيين ، ويثير الناس ليداركوا أبناءهم أن يجرفهم تيار الشرك والإلحاد !

بالله هوّن عليك يا علي ! ، فليس ثمّ شرك ولا كفر ، وأنت أخبرُ الناس بذلك ، وأدراهم أن هذه الكلمة قد فقدت حقيقتها في أفواه الناس ، ألم تسمع إلى الفلاح يهز حماره ، ويقول يا أخي سِر ! أفتراه قصد أخوة النسب أو الرضاع ، أو الآدمية ، أو الجارية . لا : إنما هي كلمة تحنن وتعطف ! وشبيه بهذا قول السائق لحصانه زياشيخ ! والنظائر في هذا أكثر من أن تحصى .

فلا تُرَعْ ، ولا تستنفر وأبق على الجامعة والجامعيين ، ودَعْ حديث الكفر والإلحاد فقد جنت مصر ثمراً مراً في دهر طويل ، كانت حَرِيّة أن نصرفه فيما يفيد ويغني !

ثم اللغة العربية ، ليست لغة الإيمان والإسلام ، فقد سبقت الإيمان والتوحيد بقرون طويلة ، فإن أبيتَ إلا أن تخرُج لغة مؤمنة مسلمة موحدة ، فدونك فامنع دراستها في كلية اللغة ودار العلوم بمصر ، ودار المعلوم ببغداد ، وأنشىء لك اللغة المباركة التي ولدت مسلمة وشبت مسلمة ، ثم أدعنا ، وإنا — إن شاء الله — لمستجيبون ! وأظن هذه لمحة دالّة في علاقة اللغة بالإيمان والإسلام . فإن غُمّت فسنفرد لها مقالا خاصاً يضم الشتيت ويجمع المتفرق .

وأما أنت يا عماري ، فكنت بمنجاة من اللوم ، إذ عرضت للاسلوب الذي تدرس به البلاغة في الجامعة فلكل امرىء فيما يحاول مذهب ، وما كنت أحسب أنه سيغريك نقد الأسلوب بنقد الآراء ، فأما إذا انحدرت إلى هذا فهلُمّ ! :

(١) تقول : « إن الفكرة المتسلطة عليه في هذا الفن أن يجعل لكل عبارة من عباراته منبعاً لمعان نفسية » .

إي نَعم ، يا علي ، أأنت قرأت تعريف البلاغة ؟ إن الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولا أزيد بياناً ولا بسطاً ، ولكن هـذه المطابقة لا تكون إلا بإدراك المتكلم لنفسية السامع وما تحوى من ملابسات ، فهذا هو فحوى كلام الأستاذ الخولي ، أفماري في هذا ؟ إذن فهات تعريفك أنت لعلم البلاغة فإنا منتظرون !

(٢) تقول : « أن الأستاذ لا يؤمن بالماديات الصرفة ، ولا يستحسن تشبيـه الفرس بالثلج في البياض » ؟ فهو ذاك يا صاح ! فإنه لا يجْمُلُ إلا حيث يكون للبياض مزية كالمساعدة على الاختفاء ، وعدم ظهوره في آل الصحراء ، فأما إذا لم تعتبر هذه المزية فلا فضل لأبيض على أبلق أو كميت ! وذلك هو ماقصد إليه الأستاذ من تنبيهه على تفاهة التفضيل المقتضى للتشبيه في بيت ابن الزّبير الأسدى .

(٣) عاب أستاذ الجامعة البيتين :

ولا زوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها بين قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

وخلاصة العيب أن الشاعر شبه صورة بصورة في الوضع واللون ، ولم يلتفت إلى ما وراء ذلك من إيحاءات وأفاعيل ، ينتظرها السامع من شاعر !

وقد خالف عليه الأستاذ العماري بأن الفن يوجد في المعاني كما يوجد في الماديات .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وليس هذا بالكلام يُصغى إليه ، فالماديات بحتة لا تأثير لها وإنما التأثير لما يتعلق بها من معانٍ ، أفإن قلت : إن تمثال الزهرة كالزهرة كنت مشبهاً تشبيهاً مصيباً مؤثراً ، لا إنه لاعتبار إلا لما يوحيه ويستلزمه هذا التشبيه من دقة الصناعة والمهارة في المشاكهة بين زهرة الورق أو الصلصال وأختها الطبيعية الحية .

يا سيدى : إن مثل التشبيه في البيتين في خلوه من الروح كمثل من يرى بقعاً من دم قتيل أو طائر منثورة على الرمال، ثم يسير فيجد خرزات حمراً مستديرة فيفجأ السامع : أتدرى ؟! إن بقع الدم التى رأينا كهذه الخرزات احمرارها . احمرارها ، واستدارتها استدارتها ، وحجمها حجمها ، وانتثارها على غير نظام انتثارها ! أفيعجبك هذا ويكون تشبيهاً غريباً عجيباً مصيباً مستحقاً للاطراء والثناء ؟ !

أحسب أن لا ! .

ذلك أن السامع حين يُذكر الدم تعتريه الرهبة والإشفاق والرثاء لصاحب الدم المطلول ، وحب التشفى ممن سفكه ، ولا يخطر له ببال أنه مستدير أحمر منثور على غير نظام .

فمثل هذا التشبيه عبث ولغو وشمبذة ، وسقوط بالقيم الفنية للشعر إلى حد سخيف ! .

وهمسة أهمسها ، لا بل مجلجلة أعلنها لا متردداً ولا هائباً ، تلك : أن الثقة بأذواق النقاد القدامى يجب ألا تطرد ، وأن استشهادهم يجب أن يكون موضع نظر جديد ، وأن الاستشهاد بآرائهم يجب أن يعرض على محك التمحيص . ذلك بأنهم — على جلالتهم — قد شملهم ذوق العصر ولم تستقم في أذواقهم اللغة غضة طرية ، عطلا من زينة وحلية ، وأثر البيئة أثر جليل في الأذواق والعقول ، ومن ثم كانت تفاهة الاستشهادات ، والتخريجات ، وكان لجوؤهم إلى الفلسفة والناحية العقلية هرباً من الناحية الذوقية ، فقاسوا بالشبر والقيراط ، واتخذوا المبالغة أساساً للتفضيل ، ولم تظهر لهم الزينة في القوة والعذوبة والسلاسة والنغم فطلبوها بالصّبغ والألوان والشمبذة اللفظية . إذا ثبت هذا فأعفني — عافاك الله — من استحسان البلاغيين ، وعدم استحسانهم ، فنحن نسأل الذواقين من أمراء البيان . فطه حسين والزيات ، والعقاد ، وأحمد أمين ، وخليل مطران ، أولئك المحكمون ترضى حكومتهم . فأما السعد والخطيب فلا نعيبهما ولكن نقول غلبت عليهما شقوة العصر وفساد الذوق ، وقوة الفلسفة ! .

فكلام عبد القاهر في أن التباعد كلما زاد كان موجباً لارتياح النفس ليس مطرداً ، وليس أدل على هذا مما سقته لك مثلا من تشبيه الدم بالخرز الأحمر .

(٤) وأما حسد جرير لعدى بن الرقاع العاملى عندما أنشد :

تزجى أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

فناحيته أنه أعرابى لا يعرف التحبير ، ولم يخبر من المدنية ما يطوع له أن يعرف قراطيسها ، ومحابرها وأقلامها ، فظن جرير أنه لن يهتدى إلى شيء يشبه به رُوق الأغن ، فلما أصابه حسده جرير . ألا تراه يقول : « قلت : قد وقع ! ماعساه يقول؟ وهو أعرابى جلف جاف ! » .

فأنت قد وقعت — يا علىّ — في سرّ حسد جرير ، ولم تدره فظننت أنه إنما حسده لأنه كان تشبيهاً بارعاً مصيباً له تأثيره وجماله ، وما هو بذاك .

(القاهرة) كامل السيد شاهين
المدرس بالمدارس الأميرية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب الخصائص

قررت دار الكتب المصرية بيع الجزء الأول من كتاب الخصائص لابن جنى ، وهو معروض للبيع يومياً وثمن النسخة الواحدة مائة مليم للأفراد وثمانون مليما لباعة الكتب .

الجامع لأحكام القرآن

وقد أتمت طبع الجزء الخامس عشر من كتاب الجامع لأحكام القرآن الكريم لابن عبد الله أحمد الأنصارى القرطبي وهو معروض للبيع يومياً وثمن النسخة الواحدة منه ٤٥٠ مليما للافراد ، ٤٠٠ مليم لباعة الكتب .

جنـــــازة . . . !

للأســـــتاذ عثمان حلمى

ولقد تبعتُ ضحىً جنازة راحل لمنازل فى القفر غـير أواهل
ووقفت فيمن شيّعوه بساحة لم تخفَ وحشتها على متجاهل
الراقدون بتربها تحت الثرى ما بين أحجار وتحت جنادل
والنائمون بها ولا من موقظ يُرجى ولا صبح يلوح لآمل
ستر التراب عن العيون بلاءهم وأظلهم تحت البلاء الشامل
وسرى البلى فيهم فلم يترك لهم
غير العظـــام عليهمُ كدلائل
فعجبت للانسان كيف يغرُّه بحياته محضُ الغرور الباطل
لما نظرت إلى اللحود وكم طوت
من عالِم جمّ الذكاء وجاهل
أو ذى يسار جنب عاف معدم أو عاشق دفنوه جنب العاذل
ضم التراب شتاتهم فأواخر يمشون فيمن ضم إثر أوائل
لم يُجزع الأضدادَ قربٌ مباين
فيه ولا الأشـــباه بعدُ مُشاكل
خلطوا فتلك على الزمان جماجم يمشى فوقها أقدام جيل زائل
وتفتتوا حتى تخال جميع ما فى الأرض دمّ مفاصل وأنامل
وقرأت ما كتب الألى فوق الألى
دفنوهمو — من خلة وشمائل
أحسست أنى قد دفنت بجنبهـــم
ما كان بى من غيرتى ودخائل
ومضى الذى قد كان أثقل مهجتى
من كلّ همّ بالتـــوافه شاغل
أنظر فهذا دون طرفك ثاكل
يبكى ابنه وأعذر فؤاد الثـاكل
وابن هنا يبكى أباه وأمـه وبدمعه معنى الغرور الشامل
ولسوف يتلوا نعيُه نعْيَيهما فى ذات يوم للنعـاة مماثل
وتقرّب الأيام بينهـــم إذا وصلوا تباعاً نحو هذا الساحل
من مات هذا اليوم ساوى من قضى
فى موته أيام دهـــر كامل
أنظر فهذا القبر كاد لطول ما هجروه يبدى لهفة المتسائل
أين الذين بكوا عليه وما لهم شحّوا فما زاروه زورة باخل
تحتّ الليـــالى كلّ وجد منهمو
والبينُ أبرأ كلُّ حزنٍ قاتل

عثمان حلمى

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

المناقصات العامة

إعلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل المعارف المساعد بشارع الفلكى بمصر بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميه فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ١٩ / ١٠ / ٤٦ عن توريد خراطيم كاوتشوك للوزارة .

ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكى بمصر نظير دفع مبلغ ١٠٠ مليم .

٦١٥١



القاهرة الجديدة

للأستاذ نجيب محفوظ

بقلم الأستاذ ثروت أباظة

قصة رائعة من صميم الحياة المصرية وضعها الفنان الموهوب الأستاذ نجيب محفوظ ، وقد استهدف فيها عدة آراء عالجها بأسلوب يتفق وكل رأى ، فهو ساخر حيناً ؛ جادّ حيناً آخر ، رائع فى الحينين . وللأستاذ نجيب ريشة لا تخطئ النأمة الخالجة فى شخصياته ، وهو واثق من فنه فتراه لا يقصر هذه الريشة على شخص واحد بل يطلقها على أشخاص كثيرين ترسمهم فتعرفهم وتعيش معهم وتحس إحساسهم فتصبح شريراً مع الشرير وخيّراً مع الخير مندفعاً متأججاً مع المندفع المتأجج .

وشخصيات الرواية مركّزة فى أربعة شبان وفتاة . أما الشبان فتجمعهم رابطة الدراسة فى الجامعة فهم جميعاً فى الليسانس كما يجمعهم اتحاد السكن . ثم تنشعب بهم مسالك الخلق فلا مواءمة ولا انسجام ؛ فأحدهم — وهو من طارده الأستاذ نجيب وجعله بطلا لقصته — شاب فى الرابعة والعشرين من عمره ذو منبت يابس وتربية وضيعة تأصلت فى نفسه ، واجتمع الفقران ، فغدا ولا أصل يتكئ عليه ، ولا مال يتستر به . فكفر بالأخلاق ، وأصبح مثله الأعلى « طظ » التى يلجأ إليها كلما اكفهرت الحياة وأغلقت شعابها دونه . «فطظ» فى الأخلاق ، «وطظ» فى الفضيلة «وطظ» فى القوم ، وليس «طظ» فى شىء واحد هو نفسه ، وعلى هذا النهج سار ، وعن طريقه وصل إلى زوجه وهى فتاة القصة ، وعن سببها تم تعيينه . فهى عشيقة موظف ضخم ، زلّ وأراد أن يتمادى فاتخذ من « الطظ » ستاراً . فقبل قائلا : طظ ...

وهذه الفتاة هى ابنة بائع سجائر مواجه للجامعة ذات أم عاهرة ، ووالد من حزب الطظ محتاج إلى المال فحرض ابنته لتأتى له به . فتمنعت أول الأمر ، وانصاعت لحب عفيف بينها وبين أحد الشبان الأربعة هو على ... شاب جميل ذو أصل ليس بالهين ، ومال يكفيه ذلة السؤال ، له آراؤه الملحدة ، ولكن عن عقيدة ، وله أيضاً مثله العليا التى يسعى لتحقيقها ؛ فهو اشتراكى يفخر بفناه واشتراكيته ، ولا يمنعه الإلحاد ولا الاشتراكية من أن يكون عفيفاً فى حبه ، قوياً فى خلقه ذا نجدة عند الشدة ، وهو بعدُ صافى القلب لا يحمل ضغينة ولا موجدة على عكس زميله محجوب طظ ... أحبت إحسان علياً وإن لم يملك الحب لبها ، وأحبها هو وتمكن الحب منه ، ولكن ما لبث أن فجع فى حبه حين تعرض لفتاته الموظف الضخم الذى أغرى عياله ... فطمع والداها ، وشجع ابنته ودفعها فسقطت وحاولت أن تقنع نفسها أنها إنما تضحى من أجل والديها وإخوتها ..

سقطت ووجدت زوجها شاباً ساقطاً لا ضمير له ؛ عرفته أيام كان تلميذاً . فهو صديق لعلىّ ، وهو بعينه الأستاذ محجوب طظ الذى لا مانع لديه من أن يغذى قرنين ينبتان فى رأسه ما دام الأمر منفعة له ، وطظ فى الكرامة ... تزوجت محجوباً وعُيّن وارتفع وما زال فى ارتفاع سادراً عن كل شىء غير معنىّ بأبيه مدقع الفقر الذى أعياه المرض فقعد عن العمل ، ومحجوب ما دام لا يهمه الوالد فالأصدقاء لا قيمة لهم ، ولتتقطع وشائج الزمالة ، وليغضب مأمون للأخلاق ما شاء ، وليحزن علىٌّ على حبيبته ما دام محجوب يرتفع كل يوم ... وفى نشوة الارتفاع ركل محجوب سالماً الأخشيدى ، وهو الذى قدمه إلى الموظف الكبير ، وقد كان أثيراً عنده قبل أن يأتى محجوب فانتقم الأخشيدى لنفسه ، ودبر المؤامرة فعصفت بالموظف الكبير ، وكان قد أصبح وزيراً ، وعصفت بمحجوب وزوجه فذهب وكأنما أراد الأستاذ نجيب أن يهمس فى أذنه : « طظ فى طظك ، ولتحى الأخلاق ! » .

أما مأمون فشاب ملؤه الإيمان بالدين وبالقضية العربية أخره المرض وهو طفل عن الالتحاق بالمدرسة ، وعندما التحق أخذ نفسه بالشدة ، فكان الأول دائماً ، وكانت حياته سائرة على

نظام رتيب ، وأنك لتجده كل خميس ذاهباً إلى مصر الجديدة حيث خطيبته التي تزوجها بعد حصوله على الليسانس وسافر معها إلى باريس في بعثة علمية .

وأما الرابع فهو أحمد طالب صحفي لايلعب كثيراً على مسرح الرواية ، ولا نعرف له رأياً لأنه صحفي والصحفي في رأيه — ولعل هذا هو رأيه الوحيد الذي أذاعه — لا يصح أن يقول رأياً ، وهكذا اجتمع هؤلاء الأصدقاء وليس من سبب يجمعهم سوى درس في الصباح ومسكن في المساء .

ولا يقتصر الأستاذ نجيب على هؤلاء بل هناك أشخاص كثيرون غيرهم كوالدي محجوب ومحمد يس بك وأسرته ذات الماضي المتواضع ، والحاضر الارستقراطي ، وإن لمحجوب معها لشأناً في حالي فقره وغناه ، وهناك أيضاً جامعة أعقاب السجاير التي أبرز الأستاذ لها صورة واضحة تلمسها في وصفه لها وحديثها مع محجوب فتسمعها تقول : وجب ، وغير ذلك من ألفاظ تكمل الصورة وتوضحها ، وهناك عفت وغيره من أصدقاء محجوب في أيام العز ... تمر الريشة على كل هؤلاء فتبرز معارف وجوههم وخلجات نفوسهم نابضة بإحساسهم غير مغفلة شيئاً .

وتدور حوادث القصة في سنة ١٩٣٠ ، والناحية القصصية فيها أبرز منها في قصة خان الخليلي وقد كانت هذه الأخيرة أشبه بمعرض صور رائع منها بقصة ، وإن لم يفقدها هذا شيئاً من روعتها وقوتها ...

وواضح أن الأستاذ نجيباً أوجد علياً ومأموناً وأحمد في قصته الجديدة ليثبت أن الأخلاق وإن هتكت عند محجوب فهي مصونة عند أصدقائه ، وقد تعرض الأستاذ نجيب في قصته هذه لنواح اجتماعية عديدة يغض من رونقها كثرة ترددها إذ نحن الآن في حاجة إلى العلاج أكثر من حاجتنا إلى الشكوى ، وإن بالقصة لفتات فنية رائعة ننتظرها من الأستاذ نجيب الذي خطا بالقصة المصرية خطوات واسعة نحو الكمال ، وهذا أمر لا نستغربه عليه فهو فنان موهوب بفطرته جشع في القراءة العربية والغربية ... وعسى أن لا يتأخر إنتاجه القادم . فنحن في شوق منتظرون ...

ثروت أباظة

نفحات من سيرة السيدة زينب

إن أعصى مايتكاءدُ المصلحين ، تلك العادات التي امتزجت بدماء العامة ، والعقائد التي أشربتها نفوسهم ، فتمكنت فيها على مر الأيام .

وإنه لمن الجهل والسفاهة ، تحدى هذه العادات والعقائد ومهاجمتها في عنف ، بل الواجب علاجها بالحكمة ، والاحتيال لاقتلاعها ؛ أو توجيهها وجهة نافعة .

وقد اتخذ الأستاذ أحمد الشرباصي في كتابه « نفحات من سيرة السيدة زينب » خطة جديدة في « التربية الشعبية » ودرج على غير المنهج المتبع في الثورة بعقائد الناس . بل تناول مسألة الموالد ، والأذكار ، والتوسل ، والتشييع ، والتمسح بالأضرحة ، والنذور ، بروح جديدة ، هي روح عالم النفس الحاذق ، هي روح « الإعلاء » التي تعالج بها الغرائز وتهذب ، ويحد من جموحها وطغواها ، ويجعلها أداة صلاح وخير ! .

والكتاب بعد ذلك عرض تاريخي أنيق لحياة هذه السيدة الكريمة ، وتوجيه نافع للشباب الذي يريد أن يحيا حياة طيبة ، ولا يستخذي أمام القوى الطاغية ومثل عال في التضحية والجهاد .

فللوعاظ والمرشدين والمؤرخين المعنيين بتحقيق حياة الشخصيات الإسلامية البارزة ، ولمن يريد أن يتهدى بهدى جديد في التربية الشعبية ، ولمن يبتغي الأسوة والقدوة في حيوات عترة النبي الكريم .

لهؤلاء جميعاً وضع هذا الكتاب ، جامعاً بين دقة البحث ، وطلاوة الأدب ، وتأثير الوعظ واستخلاص العبر .

كامل السيد شاهين

مطبعة « الرسالة » تقدم قريباً :

الطبعة الثانية من كتاب

في أصـــول الأدب

للأستاذ أحمد حسن الزيات



لا قـــدر الله . . . !

للروائي الانجليزي أوسبرت سيتويل

لست أعرف بعد كيف ستنتهي هذه القصة ، فإن ما سأقصه عليك إنما حدث صباح أمس ، قبل أن أغادر السفينة في السويس .

جلست على كرسي طويل من القماش ، وإلى جانبي أكداس من الكتب وصحفة حساء فارغة ، أتطاول ببصري إلى الفضاء المكلل بالغيام ، الفضاء الخاوي الذي لم يخفف من وطأته على الصدر سمك يتواثب فيسلي المسافرين . بدا كل شيء دفيئاً رطباً بالغ الرطوبة . وكانت حافة السماء تتدلى منها أعلام مهلهلة من السحب ، وقد ذابت فيها حافة البحر . وكان الرجل الجالس بجواري قد بسط على حجره كتاباً مفتوحاً ، وإلى جانبه أيضاً عدة كتب ، وكان هو الآخر يحملق بنظرة ثابتة إلى المنظر المائي الخاوي . كان البحر يثير روحاً من الكآبة والاغتمام ، لا يساعد على احتمالها إلا ما تبعثه في النفس من الفتور والكسل ، وأنها تولج اليوم في اليوم فتحمل أناساً كثيرين على الاعتقاد بأنهم لا بد قد تمتعوا بالرحلة ما دام الوقت قد مر بهذه السرعة . كان من الواضح أن هذه الروح الكئيبة المقتمة تخيم على وعلى جاري أيضاً . كان جاري طويل القامة نحيفاً دقيق اليدين ، وكان يبدو على خلقته حساسية بالغة الارهاف ، وساءلت نفسي من تراه يكون … لم تكن الكتب التي بجواره تساعدني على إجابة هذا السؤال ، إذ كانت متنوعة : ترجمة لمجموعة شعر إغريقية ، ورواية عصرية ، وكتاب علمي ، ودراسة لسيرة أحد السياسيين ، ومجموعة من القصص القصيرة الحديثة . ثم لاحظت معها كتاباً من كتبي ، وهو ذلك المسمى « الرجل الذي فقد نفسه » وبغتة حوّل عينيه عن الماء وخاطبني قائلا : « أتحب البحر؟ » . فأجبت : « نعم أنا أحبه ، نوعاً من الحب ، على الرغم من ملاله ، وما يبعث في لسوء الحظ من الرعب . إنني بحار ماهر ، ولكن حين يتمدد الآخرون في فرشهم الخشبية يتمنون لو أنهم يغرقون ، أتمدد أنا على فراشي الخشبي ، مرتدياً جميع ملابسي ، أبتهل إلى الله لئلا أغرق ، وأفكر في الخضم الشاسع من المياه التي يتلاشى فيه رأس الإنسان فلا يكاد يكون شيئاً . ذلك هو السبب في أنني أفضل البحر الأبيض المتوسط ، حيث نكون عادة على مرأى من البر … لكن يبدو أنه قد اختفى كلية في هذا اليوم … بل ليتني أبلغ قناة السويس ، فإني أرتقب أن أحظى بوقت ممتع » .

قال : « نعم أنا أعرف هذا الشعور ، فإنه يداخلني أنا أيضاً بعض الشيء . وما دمت أنت كاتباً ، فسأقص عليك قصة عنه ولكن أرجو ألا تكون ممن يؤمنون بالطيرة والفال

ربما لا تستحق هذه القصة أن تسمى قصة في واقع الأمر . هي شاهد أكثر منها قصة ، أوهي برهان على إحدى النظريات … هذه النظرية ، أو المغزى ، هي تلك النظرية القديمة البديهية التي شغف أحد الروائيين المحدثين بترديدها ، وهي أن ما تشعر به يكون أشد صدقاً ، ولا بد أن يكون دائماً أشد صدقاً ، من مجرد الفكرة التي تدور بخلدك ، أو بعبارة أخرى ، اعتمد في حكمك على اللمس ، لا على البصر . ولكن الناس في هذه الأيام تعوزهم الشجاعة التي تجعلهم يعملون كما يشعرون ، فهم يعملون طبقاً للعقل ، ثم يحاولون أن يخترعوا تفسيراً منطقياً فيما بعد ، يفسرون به الأشياء الفذة التي تحدث لهم . لكن لا جدوى من وراء هذا مطلقاً

كانت السفينة مبحرة إلى أمريكا الجنوبية . غادرت تلبري في عصر يوم ممطر من أيام ديسمبر ، ولكن في اليوم التالي كان البحر هادئاً كأنه بركة زرقاء في فصل الصيف . واستمر كذلك ثلاثة أيام ، حتى عندما عبرنا خليج بسكاي . ولكن برغم هدوء البحر تأخرنا عن الوصول إلى لشبونة ، حتى إذا وصلنا إليها أخذ موظفو الميناء يتجادلون جدالا لا ينتهي ، كأنهم عقدوا العزم على أن نتأخر عن الاقلاع من الميناء . وقفت أرقب المسافرين النازلين وأستمع إلى المشاجرة البرتغالية الصاخبة تعلو وتتناثر كأنها صواريخ مبتلة ، بين وكيل السفينة وأحد موظفي الجمرك … لم يكن بين المسافرين الجدد من يلفت النظر إلا امرأة انكليزية وزوجها . كانت جميلة حقاً ، ولكن جمالها كان من

نوع عجيب ، كأنها إلاهة القدر الاغريقية . كانت عيناها واسعتين ذواتى زرقة عميقة ، يمكن أن تقرأ فيهما معانى كثيرة ، أحدها صادق وكثير منها كاذبة . كانت قسماتها الذعورة الحجرية كأنها تمثال كلاسيكى ، يكمن فيه شيء من المأساة . ثم إنى ظننت أو الأحرى أن أقول أحسست — أن بقسماتها شيئاً من حورية البحر . إذ انتمت عيناها إلى البحر ... كان زوجها إلى جانبها يبدو عادى المظهر . لكن منظرها الفذ كان مقتصراً على محياها ، أما ملابسها فكأنها اختيرت بحيث تمحو الأثر الذى يخلفه جمالها العجيب ، وتحط من سموه وتجعله عادياً مألوفاً .

فى الصباح التالى كنت جالساً على ظهر السفينة ، كما أنا جالس الآن معك ، فوجدتنى مجاوراً لها . وبعد أن عبثنا برهة بكتبنا عبثاً يشابه فى اضطرابه حركة السفن واهتزازها - حقاً إن هناك رابطة قوية بين دوار البحر والكتب المطبوعة — بدأنا نتحدث قليلا . وحين تحدثنا لم يتركا فى النفس أثراً غير عادى ، وكان صوتها هادئاً مليئاً بالاهتمام ثابت النبرات وإن كان فارغاً بعض الشيء ، ولم يكن به أى عنصر غريب من المأساة أو من النبوءة . ولكنى برغم ذلك عرفت ، بل شعرت وأحسست ، بأنها كانت تصلها بتلك العناصر الغريبة صلات وثيقة . تجاذبنا أطراف الحديث ساعتين أو أكثر ، وكان البحر قبل ذلك هادئاً كالبساط ، ولكنه بدأ فى خلال محادثتنا تظهر عليه علائم التغير الأكيدة . وكأنه كان يحاول اختبار قواه ، ليستخدمها فى مناسبة مقبلة . فصفرت فى جنباته رياح هينة ، وأخذت السفينة هزة أثارت المزاح والضحك المعهودين بين الشبان من المسافرين الذين كانوا يتنقلون على ظهر السفينة فى جلبة ، وضاعفت من حماسة اللاعبين فى لعبهم المختلفة ، فازدادوا مرحاً ، حتى يخفون ما شعروا به من بداية التقزز والغثاثة ... تسألنى عم كنا نتحدث ؟ ... قد نسيت ، ولكنها كانت أشياء مختلفة ، من السياسة ، والأسفار ، والكتب — الكتب البريئة المملة .

ولكن كلما مرت دقيقة ازداد التحدث صعوبة ، إذ ارتفعت بين آونة وأخرى أصوات الأشياء المتصادمة ، وازدادت الريح دوياً ، وإن كان الركن الذى اتخذناه محمياً هادئاً بعض الشيء ...

أخبرتنى أنهما كانا ذاهبين إلى بونس أيرس ، حيث يمكثان أسبوعاً ، ثم يعودان إلى وطنهما مباشرة . فإن المستر روفنى — وهذا اسم زوجها — كان مريضاً ، وقد نصحه الطبيب بالقيام بهذه الرحلة البحرية . وقال الزوج : « لقد حاولت أن أثنى زوجتى عن المجيء ، ولكنها ألحت . أنا لم أغرك بالمجيء يا حبيبتى ، أليس كذلك ؟ لقد بذلت كل جهدى لمنعك » .

كلا ، لست أستطيع أن أتذكر كل الحادثة بجلاء ، وإنما أتذكر شيئاً أو شيئين من هذا القبيل . أتذكر المسز روفنى تقول ، بصوتها الحازم الذى لا يقبل أى سخف أو عبث ، والذى كان مع ذلك فارغاً بدرجة عجيبة ، ذلك الصوت الذى نطق بالأشياء كأنه لا يعنيها—أتذكرها تقول : « مهما يكن من شيء ، فأنا مؤمنة بالقضاء والقدر . أنت لن تستطيع النجاة مما سيحدث لك فهذا هذا ؛ وما عليك إلا أن تتقبله بأحسن ما فى استطاعتك . لن يستطيع ثعلب أن ينجو إلى الأبد ، إذا كانت كلاب الصيد تطارده » ... أنا أتذكر ذلك جيداً ، فإن هذه الملاحظة ، برغم أنها شيء معهود طالما سمعناه على الرغم منا ، ضايقتنى إذ ذاك أشد مضايقة ، حتى كدت لا أكتم سخطى ؛ إذ وجدتها لا تنسجم مع ذلك الجمال العجيب ، أو ذلك الوجه الذى كان يبدو مترقباً لأحد الانفعالات العاطفية العظمى — وكنت واثقاً أن هذا الانفعال هو الخوف — فما يجيء هذا الانفعال حتى يصير ذلك الوجه آية رائعة من التعبير ... ولكن ما أكثر ما ينطق الناس فى هذا المجال بأفكار تخيب ظن المرء إذ لا يجدها تنسجم معهم ... ثم إنها استرسلت تتحدث عن الأسواق فى مقاطعات انكلترة ، وأسلمت نفسها إلى نوبات طفيفة من الاعتداد بالذات لم تنسجم معها أيضاً .

ولكنى ساءلت نفسى فى ذلك الوقت : أكانت تلك حقاً نوبات من الاعتداد بالنفس ؟ لقد شعرت بأنها أدخلتها فى الحديث لا لتحدث وقعاً على نفسى بل لتدخل الراحة والاطمئنان على نفسها هى . فإن مثل هذا الاعتداد بالنفس يرتبط بالحياة اليومية ، والحياة اليومية هى عادة خالية من البطولة والبسالة ومن النكبات والمآسى ، كما أن الأفكار التى عبرت هى عنها كانت أفكار الحياة اليومية العادية . وقد تشبثت هى بهذه الأفكار لأنها

كانت تتوق أشد توق إلى أن تقنع نفسها بأن حياتها ليست فى حقيقتها إلا من ذلك النوع العادى ، وأنه ليس من وجود فعلى لتلك النكبة المظيمة والمأساة القديمة التى ترتبط بها والتى هربت منها . فكل فكرة عبرت عنها ، وكل مناسبة أشارت إليها ، كانت كأنها تقرص نفسها لتتأكد من أنها صاحية ومن أن الكابوس المخيف قد زال …

ازداد الطقس اضطراباً ، ولم أرها بعد ذلك فى ذلك اليوم . فقد تضاعفت حدة الزوبعة فلم يعد أحد ليجد متعة فى الرحلة البحرية . بل لم يعد من المستطاع أن ينام المرء ؛ وإن كانت الزوابع فى العادة تجعلنى أستغرق فى النوم . فإن طرق عينك السبات لحظة واحدة فى الليل فلا بد أن يوقظك فى الحال صوت الأبواب تنفتح وتنصفق وتتصادم ، أو يوقظك إحساس عجيب بأن الروح نفسها ، تلك الذات النفسانية التى بنى حولها الجسد ، قد تنقلت من مقرها بعض الشىء … يسائل المسافرون أنفسهم ، كعادتهم فى خلال رحلة بحرية : « لم قمت بهذه الرحلة ؟ » ولكنى لم أشعر إلا بشعور واحد ، شعور طالما أحسست به فى المحيط الأطلنطى ، وإن كنت قد قمت فيه برحلات كثيرة لم يكن عنها من محيد ، ذلك الشعور هو الرعب . لم يغلبنى دوار البحر ، وإنما شعرت بالرعب من تلك الأودية الباردة فى أعماق المياه تحت سطح البحر ، تلك الأودية اللانهائية المتعرجة التى أخبرنا بأنها فى عمقها تماثل جبال البر فى علوها … وبهذه المناسبة (سامحنى لقطعى حبل قصتى .) ألم يزدد الطقس اضطراباً منذ بدأنا حديثنا ، أم ليس هذا إلا وهما من أوهام مخيلتى ؟ »

فاضطررت إلى أن أعترف بأن الطقس قد تغير ؛ فقد بدأت السفينة تترنح بصورة غير منتظرة .

« لقد ظننت كذلك » قال ذلك وتوقف برهة ، ثم استرسل : « على أية حال ستكون القناة هادئة … ولكن لأستمر فى قصتى : من حسن الحظ أننى كنت سأغادر السفينة فى مادبرا ، ولم يكن دونها إلا رحلة يومين . ولكن كم تشوقت إليها فى ذينك اليومين ، تلك الدرة البديعة المستقرة فى وسط المحيط تحت غطاء سحاب الأطلنطى » .

كان اليوم التالى سيئاً للغاية ، بحيث لم يعد المرء يهتم بشىء ما لا بالطعام ولا بالشراب ولا بالنوم ولا بالمسافرين : ولكنى لاحظت مع ذلك أن المستر روفنى جلس إلى طعام الغداء وحيداً … وفى الصباح التالى بدا كأن الزوبعة قد هدأت قليلا ، وفى أثناء تجوالى على ظهر السفينة قابلته .

صحت بحماسة كاذبة : « صباح الخير … ! كيف أنت فى هذا الصباح … يؤسفنى أن أراك وحيداً » .

فأجاب : « نعم إنه شىء مقلق . كم تمنيت أن يكون الطقس لطيفاً … فإننا نقترب من مادبرا الآن ، وينبغى ألا يكون الطقس هكذا … إننى أسارحك بأنه يزعجنى … ليس ذلك لأن زوجتى غير متعودة على الأسفار البحرية — فإنها الآن لا تشعر بالدوار — بل الحق أن الرعب يتملكها فى أى سفينة ! »

قلت : « ليس هذا شيئاً مخجلا ، فأنا أيضاً مرتعب … وأعتقد أن كثيرين جداً من الناس هم أيضاً كذلك ، لو أنهم اعترفوا بالحقيقة ! »

أجاب : « قد يكون هذا صحيحاً … ولكن الأمر مختلف بالنسبة إليها فإن آخر رحلة بحرية قامت بها كانت فى (التيتانيك) وقد غرق أخوها التوأم مع تلك السفينة ، ولم تنج هى إلا بمعجزة … ولسنين عديدة رفضت أن تركب سطح سفينة على الاطلاق ، بل إنها أبت أن تقوم برحلة القناة الانكليزية التى لا تستغرق إلا ساعة واحدة ، مع أنها قبل ذلك كانت مغرمة بباريس … وسأذكر لك شيئاً غريباً : قد يكون البحر هادئاً بالغ الهدوء ، ولكن ما تكاد تضع قدمها على سطح السفينة حتى تبدأ الزوبعة ، بداية لا شك فيها . لقد شاهدت ذلك يحدث فى القناة الانكليزية عشرات المرات ، حتى إننى كثيراً ما تمنيت أنى لم أحملها على تغيير عزمها والمجىء معى ، حتى لتلك المسافة القصيرة … ما كان ينبغى أبداً أن أسمح لها بالمجىء فى هذه الرحلة … كان ينبغى أن أحظر ذلك حظراً باتاً ، من البداية … ولكنها كانت قلقة البال علىّ — فقد كنت مريضاً زمناً طويلا ، وأولئك الأطباء الملاعين قالوا إن رحلة بحرية طويلة هى الشىء الوحيد الذى يرد إلىّ العافية — فألحت هى وأصرت . ولم أستطع منعها ، فقد بدا كما لو كان من المحتم أن تجىء ، وإن ارتاعت هى من ذلك ، لو كنت تفهم ما أعنى … »

وإذن فهذا هو السر! لا غرابة إذن أن تكون مرتاعة، حتى على أشد المياه ضحولة. تذكرت تلك السفينة الفاخرة في رحلتها البكر، وتذكرت اليدين اللاعبتين، والاصطدام الفاجئ الرهيب، والسكون الشامل، حين وصلتها رياح التدمير، ثم تذكرت الاضطراب والفوضى في الماء، والتلاقي الغريب الصامت في الدروب العميقة الخضراء بين الأمواج، حيث ترنح القادرون على السباحة إلى أعلى وإلى أسفل، أو اصطدموا الواحد بالآخر كأنهم سدادات الفلين؛ ولكن لم يستطيعوا تخاطباً، إذ كانت أصواتهم قد ضاعت تحت صوت المحيط، فبدوا وكأن بعضهم لبعض عدو ... إذن فهذا هو السر ... ! هذا هو معنى تينك العينين الواسعتين، كعيني تمثال في ضياء الشمس الباهر، ذلك هو المعنى المختفي تحت كلماتها العارضة، السخيفة الجادة معاً: «لن يستطيع ثعلب أن ينجو إلى الأبد، إذا كانت كلاب الصيد تطارده». كلا، ولا الإنسان يستطيع النجاة، إذا كانت قطعان الشر والهلاك تصاحب مجيئه وذهابه.

في عصر ذلك اليوم وصلنا مادرا. فودعت المستر روفني وزوجته. وعلى رغم أنهما كانا مشغولين مع أهل الجزيرة الذين هاجموها يريدون أن يبيعوا لهما ما يحملون من الأقمشة المطرزة والزهور والنعال والصناديق المصنوعة من خشب النخل، ونماذج العربات التي تجرها الثيران، وملابس سكان الجزيرة — فإنهما لوحا لي بأيديهما إذ غادرت السفينة في زورق إلى البر. ولاحظت مرة أخرى خلو وجهها من التعبير خلوا عجيباً، وذلك شيء إن أنعمت النظر فيه تجلى لك رعب أشد من الرعب. ثم ظننت أنها نظرت إلى البر نظرة المتلهف المشتاق، ولكني كنت أبعد من أن أرى بوضوح ... مهما يكن من الأمر فإنهما الآن سالمان، فإن بقية الرحلة، خصوصاً في هذا الوقت من السنة، هادئة في المنطقة الحارة، تتجلى فيها الحدائق العميقة الزرقاء المتألقة تحت الماء، وتقفز الأسماك الطائرة فوقهما كما تثب العصافير فوق أرض البستان.

مضى أسبوعان، قبل أن أقرأ في صحيفة هذا الخبر:
«إعصار في المحيط الأطلنطي الجنوبي. أمواج المد تطغى على المدن الساحلية. باخرة بريطانية تغرق على مقربة من (ريك). غرق جميع المسافرين». وفي الحال تذكرت المسز روفني ... إذن قد انتهى الأمر الآن ... إنها كانت تنتمي إلى البحر بكيفية ما ... ولا بد أن يستردها البحر إلى أحضانه. لقد كانت تعرف ذلك دائماً، وإن لم يستطع عقلها تصديق ذلك أحياناً. مهما يكن من شيء، فقد انتهى الأمر، كائناً ما كان مغزاه. انتهى طراد طويل، لا يستطيع المرء أن يتعرف على بدايته، أو لعله ليس إلا الفصل الأوسط في درامة تستغرق عدة قرون، أو عدة أحقاب ... ساءلت نفسي: ترى كيف كانت هيئة ذلك الوجه الجميل في النهاية، وإلى أي حد جعلت صوتها هادئاً عملياً وهي تحدث زوجها للمرة الأخيرة، عارفة ما يخبئ لها القدر ... ولكن الواقع كثيراً ما يختلف عن النبوءة، وهذا ما حدث في هذه الآونة ... فإنني عاودت قراءة الصحيفة، فقرأت في أخبار آخر ساعة: «إنقاذ أحد المسافرين. اتفاق غريب ... المسز روفني التي أنقذت عصر أمس في حالة إنهاك، يتحقق أنها أحد الذين نجوا من التيتانيك، حين غرق أخوها التوأم مع تلك السفينة. ويخشى أن المستر روفني، المشهور في عالم الرياضة، وجميع المسافرين الآخرين والبحارة، قد غرقوا» ... إذن فالبحر لم يستردها بعد، والثعلب قد نجا مرة أخرى، يا للمسكينة! لم يتم الفصل الأخير بعد.

لعلك تعتقد أنني من المؤمنين بالخرافات إذ أشعر بما أشعر الآن؟ ولكن الحياة تبدو أقرب إلى الفهم حين يؤمن المرء بالخرافات ... على أية حال، قد حدث ذلك منذ ثلاث عشرة سنة ... وأستعيذ بالله، إنها فوق هذه السفينة، مسافرة إلى سيلان لترى ابنها. لقد تحدثت إليها هذا الصباح، هي كأنها لم تكبر يوماً واحداً. ولكن ماذا ينبغي أن يفعل المرء: أيجيب غريزة الإيمان بالخرافات أم يتحداها؟ ... إنني أجبن من أن أرتكب سخف مغادرة هذه السفينة في السويس».

توقف عن الحديث، واستغرق في الصمت والتفكير — ولكنني جاهدت حتى نزلت إلى قاع السفينة، متشبثاً بكل ما وقعت عليه يدي حتى لا أفقد توازني، وهناك أرسلت رسالة برقية.

[عن مجلة الأدب والفن الانجليزية] **أوسبرت سيتويل**